

## المسائل العقيدية في مصنعات النابلسي

### وموقف النابلسي منها

د. السيد محمد سيد عبد الوهاب

مدرس الفلسفة الإسلامية

وأمين مركز المخطوطات

كلية دار العلوم - جامعة المنيا

### المقدمة :

يُعدّ البحث في مجال قضايا العقيدة من الموضوعات الدقيقة التي اجتمع على الخوض فيها أهل الديانات والملل والنحل والمذاهب الفكرية والفلسفية ، فالباحث في هذا المجال يجد نفسه أمام زخم كثير من الآراء الكثيرة التي قد تصل في بعض المواضع إلى التناقض الشديد ، نتيجة اختلاف المناهج التي عولجت بها تلك لقضايا .

وهذا يدفعنا إلى استشعار العلاقة بين اعتقاد أية أمة من الأمم أو ديانتها التي تدين بها وبين منطقتها ومنهج تفكيرها .

ولما كان الإنسان هو محور هذه الآراء والأفكار ؛ باعتباره القادر على أن يلعب دوراً حيويّاً في استمرار هذه الأفكار أو تغييرها .

مما دفعني إلى البحث في مسائل العقيدة عند الصوفية ممثلاً في الإمام عبد الغنى النابلسي ، ذلك الصوفي العالم الجليل ، صاحب التصانيف المختلفة في فنون المعرفة الإسلامية ، إلا أنه قد عول على التصوف وجعله منهجاً له وظهر ذلك جلياً من خلال مصنعاته الوفيّة المطبوعة والمخطوطة في مجال إيداعه الذوقي .

والبحت بعنوان :

## "المسائل العقيدية في مصنفات النابلسي وموقف النابلسي منها"

ويدور البحث حول : تمهيد وخمسة مباحث .

التمهيد : ويشمل سيره الرجل الذاتية ومصنفاته العلمية .

المبحث الأول : قضية التأويل مدخلاً لدراسة مسائل العقيدة عند النابلسي .

المبحث الثاني : الإيمان عند النابلسي .

المبحث الثالث : التوحيد عند النابلسي .

المبحث الرابع : الجوهر والعرض عند النابلسي .

المبحث الخامس : الحرية الإنسانية عند النابلسي .

ثم الخاتمة : وتشمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث

: وأهم مصادر الدراسة

أما منهج الدراسة : فيعتمد المنهج التحليلي والمقارن لدراسة الموضوع .

منهج النابلسي في تصنيف مسائل العقيدة :-

أولاً : ظهرت براعة النابلسي في تصانيفه ؛ من خلال منهجه الفريد الذي اعتمد فيه أساليب المتكلمين ، في تصنيفه القضايا والرد على المخالفين مما جعله من أكبر علماء عصره من المتصوفه الذين كتبوا بهذا المنهج .

ثانياً : تميز بمنهج نقدي فريد ضد مخالفيه ، يدل على سعه علمه وسلامة سريرته ، وحصافة رأيه ، ودقة استدلاله ونتائجه .

ثالثاً : ظهر تنوع قدراته التصنيفية في مجالات العلوم الشرعية المختلفة  
وإن غلب عليه الاهتمام بعلم الكلام ؛ الذي يرى أنه علم  
الخواص وكذلك التصوف باعتباره منهجه الذي ارتضاه لنفسه  
فألف فيه الكثير .

رابعاً : يركز على الأدلة الشرعية الواردة في الموضوع ، سواء كانت  
قرآناً أم سنة ، ويستشهد بها وفق الفكرة التي يود الحديث فيها؛  
مما جعل له آراء كثيرة خالف فيها أهل عصره ومن سبقه من  
علماء الأمة سواء في مجال الأحكام أو التصوف .

خامساً : ظهر تأثيره الجلي والواضح بابن عربي ، وكثر استشهاده به  
ولم يترك مجالاً إلا ودافع فيه عنه ، وعن غيره من الصوفية  
أمثال الحلاج والبسطامي وابن الفارض وإن كان قد خالفهم في  
بعض أقوالهم مثل نفى الحلول عنده والاتحاد .

سادساً : ظهر تفردّه بمذهب في تأويل الرؤى اعتماداً على الاشارات  
والمكاشفات القلبية مما جعله وابن سيرين ممن تفردوا في هذا  
الموضوع .

### النايلسي : سيرته الذاتية

هو عبد الغنى إسماعيل بن حمد بن إبراهيم الدمشقي الحنفي ،  
النقشبندی القادري ، المعروف بالنايلسي وقيل بلغت مؤلفاته ١٨٨  
مؤلف (١).

ولد سنة ١٠٥٠ هـ — يدمشق في ٥ ذى الحجة ، ورحل إلى  
بغداد ، وعاد إلى سورية ، فتنقل بين فلسطين ولبنان ، وسافر إلى  
مصر والحجاز ، واستقر بدمشق إلى أن توفي في ٢٤ شعبان ١١٤٣ هـ

(١) د. عبد المنعم الحنفي : " الموسوعة الصوفية " طبعة دار الرشد - ط١ص ٣٨٥

عن ثلاثة وتسعين سنة<sup>(١)</sup> ويذكر الجبرتي انه صاحب الأسرار والأنوار وأن "أوصافه ومناقبه متفرده"<sup>(٢)</sup> وذكر أيضاً النبهاى في جامع كرمات الأولياء أنه: "أشهر الأولياء العارفين فى عصره إلى الآن ، أخذ عن كثير من أئمة العلماء والأولياء وأخذ عنه كثير منهم . . . ولو لم يكن من كراماته - رضى الله عنه - إلا تبحره فى جمع العلوم وتأليفاته التى لا تعد ولا تحصى فى جميع الفنون ؛ لكان ذلك كافياً وافياً ، فكيف وله مع ذلك المناقب المشهورة والكرامات المأثورة فى حياته وبعد مماته"<sup>(٣)</sup> ويتصل الشيخ النابلسى إلى الطريقة القادرية فهو من ذرية الشيخ الجليل الربانى عبد القادر الجيلانى فقد تلقى العلم على يد والده وشيخه السيد شرف الدين ، والسيد شرف الدين تلقى ذلك عن والده وشيخه السيد أحمد . . . إلى أن يصل بالنسبة إلى السيد عبد القادر الجيلانى<sup>(٤)</sup>.

وقد درس النابلسى علوم "الشريعة والحقيقة" ، وفى ذلك يرى محقق كتاب "الفتح الربانى" أنه "جمع بين علوم الشريعة والحقيقة ، وكان درسه للشريعة وعلومها مساوياً لدرس المتخصصين ، ولم تكن دراسته سطحية ، ولا دراسة تقتصر على قدر الضرورة ؛ ممّا يجعلهم أموناً على العقيدة والشريعة"<sup>(٥)</sup> وكان النابلسى أحد كبار الصوفية بجانب تفقهه الواسع فى المذهب الحنفى وكذلك الحديث والتفسير والتوحيد .

(١) عمر رضا كحاله : معجم مصنف الكتب العربية ( مؤسسة الرساله بيروت ط ١٤٠٦هـ - ص ٢٧٧ )

(٢) عبد الرحمن الجبرتي : تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار طبعة دار الجيل - بيروت بدون ج - ص ٢٣٢

(٣) يوسف بن إسماعيل النبهاى : جامع كرمات الأولياء - تحقيق إبراهيم عطوه عوض المكتبة الثقافية - بيروت ١٤٠٨هـ - مج ٢ ص ١٩٤

(٤) النابلسى: الحقيقة والمجاز ص ٤٩ .

(٥) النابلسى : الفتح الربانى والفيض الرحمانى تحقيق محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية بيروت ط ١٤٠٥ مقدمة المحقق ص ٣ .

من مؤلفات النابلسي :

### أولاً : المطبوع

- ١ . الحديقة الندية في شرح الطريقة المحمدية .
- ٢ . كشف السر الغامض في شرح ديوان (ابن الفارض).
- ٣ . زهر الحديقة في ترجمة رجال الطريقة .
- ٤ . النظر في معنى قول ابن الفارض ، عرفت أم لم تعرف
- ٥ . السر المختبئ في ضريح ابن العربي .
- ٦ . الفتوحات المدنية في الحضرات المحمدية
- ٧ . ورد المتنبى على منقص العارف محيي الدين
- ٨ . بياية المرید ونهاية السعيد .
- ٩ . العقود اللؤلؤية في طريقة السادة المولوية .
- ١٠ . رائحة الجنة .
- ١١ . كفاية الغلام في جملة أركان الإسلام .
- ١٢ . الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية .
- ١٣ . الفتح الرباني والفيض الرحمانى .
- ١٤ . ورد النابلسي .
- ١٥ . جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص .
- ١٦ . القول المبين في بيان توحيد العارفين .
- ١٧ . لمعان الانوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار .

### مخطوطات :

- ١- إيضاح المقصود في معنى وحدة الوجود
- ٢- عذر الأئمة في نصح الأمة.
- ٣- رسالة في الرد على أسئلة النصارى.
- ٤- قطرة السماء ونظرة العلماء .

- ٥- أنوار السلوك في أسرار الملوك .
- ٦- الدر الثمين في إيصال قول الملحدين .
- ٧- فتح المعيد المبدئ
- ٨- إيضاح المقصود عن معنى وحدة الوجود.
- ٩- تحريك الأقليد في فتح باب التوحيد
- ١٠- كوكب المباني وموكب المعانى
- ١١- مفتاح المحبة في طريق النقشبندية
- ١٢- أسئلة وأجوبة في فنون من العلوم الدينية المختلفة .
- ١٣- الجواهر المصون في علوم الكتاب المكنون
- ١٤- الرد المتين على منتقدي العارف محي الدين
- ١٥- التوفيق الجلي بين الأشعري والحنبلي
- ١٦- رد الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب
- ١٧- رسالة في التوحيد
- ١٨- الحامل في الفلك والمحمول في الفلك في إطلاق النبوة وللرسالة والخلافة والملك
- ١٩- تنبيه ما يلهو على الذكر بالاسم
- ٢٠- جمع الأسرار في منع الأسرار من اطعن في الصوفية أهل التواجد في الأفكار
- ٢١- رسالة في الكلام على قوله تعالى: "ولولا فضل الله عليك شرح هدية ابن العماد في أفعال العباد
- ٢٢- الفتح المدني في النفس اليمنى
- ٢٣- كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين
- ٢٤- الكشف والبيان في أسرار الأديان
- ٢٥- أنس الناقر في معنى حديث من قال أنا مؤمن وهو كافر
- ٢٦- الجواهر المصون في علوم الكتاب المكنون
- ٢٧- دفع الإيهام ورفع الإبهام

٢٨-رسالة النابلسي في اجوبة اسئلة وردت من بعض البلاد النائية

٢٩-رفع الاشتباه عن علمية اسم الله

٣٠-رفع الريب عن حضرة الغيب

٣١-الوجود

٣٢-رد المفترى عن الطعن في التسترى

٣٣-رسائل للنابلسي وتشمل على :

رفع الريب عن حضرة الغيب اللؤلؤ المكنون ، تحقيق الفروق؛ التنبيه

من النوم ، الرد على من تكلم في ابن العربي، خلاصة التحقيق

مخطوطات في صورة مجاميع :

مجموع رسائل للنابلسي وتشمل :

الكشف والبيان فيما يتعلق بالإنسان ، أنوار السلوك في اسرار الملوك، رفع

الريب عن حضرة الغيب ، كشف النور عن أهل القبور ، القول الأبين في

شرح رسالة أبي مدين ، رسالة تتعلق بالإنسان هل هو هذا الهيكل المخصوص

أو غيره .

## المبحث الأول

### التأويل مدخلاً لدراسة

#### المسائل العقديّة عند النابلسي .

يرى النابلسي أن القرآن الكريم وغيره من الكتب السماوية السابقة قد أشار إلى قسمين من الآيات " المحكم منها والمتشابهة :

ويعتبر المحكم هو الأصل : " كما أخبرنا الله تعالى : " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه من ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب " (١) فقد أخبرنا تعالى أن الآيات المحكمات هن أم الكتاب والأم هي الأصل (٢).

ولا يقف النابلسي عند الاستشهاد بهذه الآية فقط بل عول على آيات كثيرة نحو قوله تعالى " ليس كمثل شيء وهو السميع البصير " (٣) وقوله وما قدر الله حق قدرة (٤) ، وقوله تعالى : " سبحان ربك رب العزة عما يصفون " (٥).

فأخبرنا الله أن الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون الآيات المتشابهة ابتغاء الفتنة أي الحمل على الظاهر كنسبة التجسيم مثلاً إلى الله تعالى آخذ من قوله

(١) سورة آل عمران آية (٦)

(٢) النابلسي : الأنوار الإلهية مخ، لوحة ١٧٦

(٣) سورة الشورى آية ١١

(٤) سورة الأنعام آية ٩١

(٥) سورة الصافات آية ١٧٩



تعالى: " الرحمن على العرش استوى <sup>(١)</sup> وكنسبة الجهة إليه أخذاً من قوله تعالى : "أمنتّم من في السماء" <sup>(٢)</sup> وبعضهم يتبع المتشابه أيضاً ابتغاء تأويله، أي صرفه عن معناه الحقيقي الذي يعلمه الله منه ، إلى المعنى الذي تتخلله العقول والأفكار من الشيء إلى الشيء إذا رجع.

وهنا يرى النابلسي أن الراسخين من أهل العلم قلوبهم وعقولهم فضلاً عن ألسنتهم تصدّق بكل الكتاب محكمه ومتشابهه حسب مراد الله في المعنى ، ولا تصرف المتشابه عن معناه إلى معان تخالف مراد الله .

وفي ذلك يقول: " وابتغاء تأويله " أي : طلباً لوجوه آخر يؤول إليها نص الكتاب ، مما يغير مقتضى ظاهر الكلام . " وما يعلم تأويله " أي: ما يؤول إليه المتشابه من الوجوه الصحيحة التي لا تتافي الإطلاق الذاتي والتنزيه الحقيقي . " إلا الله " تعالى ، الذي هو الوجود الحق المطلق الحقيقي . <sup>(٣)</sup>

ويؤكد النابلسي أن من صار على الحق فهم وعلم وأن من خالف فقد ضل سواء السبيل ، وضل سبيل المؤمنين.

فيقول " ونحو ذلك من الآيات والأحاديث كافية للمنتصف في الدين المتبع سبيل المؤمنين <sup>(٤)</sup> بمعنى عدم التوقف عند آية أو حديث وإنما القرآن يكمل بعضه بعضاً ، وكذلك السنة النبوية الشريفة .

" نون الفرقة المؤولة المحرفة للكلم عن مواضعه من الطائفة المبتدعة" <sup>(٥)</sup> أي التي تنسب بلفظه أو بآية لإثبات معنى مخالف لمراد الله سبحانه وتعالى

(١) سورة طه آية ٥

(٢) سورة تبارك آية ١٦

(٣) النابلسي : الوجود الحق ، مخ ، ل ٢١٠

(٤) النابلسي : إطلاق القيود ، مخ : ل ٦٤ ، ب ٦٥

(٥) النابلسي : إطلاق القيود ، مخ ، ل ٦٤ ، ب ٦٥

ويظهر إصرار النابلسي على إيهام الناس لمعنى التأويل، لفضح المخالفين الذين كثروا في عصره ممن طعنوا في العقيدة وحولوا إفساد الدين .

فيقول " والحاصل أن احتمال التأويل في القول أو الفعل معتبر في حق من لم يتحقق منه أو يدين بذلك من الرافضة المعروفين بأعيانهم، المشهورين بالاستحقاق والاستهزاء والطعن في أحد الأنبياء أو الشيخين ، وأما فيمن هذا شأنهم . فلا احتمال تأويل لهم ، وكان القتل لهم على وجه السياسة العاللة ؛ حتى ينزجر الناس عن أمثال هذه القبائح الشنيعة في الدين فيكون الاحتياط في تعظيم مذهب أهل السنة أولى وأحق من الاحتياط في دماءهم ، كما تقرر وقوع ذلك في بلادنا دمشق والشام وأقيم عليهم حد القتل (١) .

ويرجع ظهور هذه البدع إلى " انقراض الصحابة رضى الله عنهم، وانتشار الفتن بعد الثلاثمائة أي " الثلاثة قرون الأولى " .

فكثر الكلام في أوصاف الله تعالى بين أهل الإسلام ، ولم يرضوا مذهب السلف في ذلك ، وذهبوا في رأيهم كل بمذهب ، وعمدت طائفة من أهل السنة إلى تأويل جميع المتشابه ، وصرفه عن ظاهرة المتبادر إلينا لئلا يحتج به المبتدعة على مذاهبهم الفاسدة ، ولم يعتقدوا أن ذلك معنى كلام الله تعالى ولا كلام رسوله (ﷺ) وإنما كان تأويلهم ليرفعوا به حجج الخصوم فيما استدلوا عليه من الزيغ، لا ليعتقدوا ذلك التأويل (٢) .

ولم يقصر النابلسي كلامه على المتشابه في القرآن الكريم ، وإنما أشار أيضاً إلى المتشابه في السنة النبوية الشريفة ، وفي ذلك يقول: " وإن كان المتكلم بالمتشابه من الكلمات من سنة الله ورسوله فإن القرآن يشتمل على المتشابه الذي لا يعلم تأويله غير المتكلم به وهو الله تعالى ، ومن علم

(١) النابلسي : رائحة الجنة ص ١٤٧ ، ١٤٨

(٢) النابلسي : الفتح الرباني ص ١٦٥

ذلك المتكلم به ، وكذلك في كلام النبي (ﷺ) في المتشابه أشياء كثيرة لا يعلم معانيها إلا النبي (ﷺ) ، ومن علمه المتكلم في ذلك (١) .

ويصم النابلسي قضية التأويل بأن المتأول مبتدع فيقول: "والتأويل مبتدع لعدولة عن الحق القرآني المؤيد بالسنة من غير ضرورة وليس للقصور عن أحوال الكاملين وأنواق السالكين بعذر في التأويل خصوصاً ممن يدعى العلم وينسب نفسه إلى معرفة الكتاب والسنة وليس له حل رباني ولا كشف وجداني فإن ، الإسلام له أسلم والإيمان بحاله أحكم ، والله اعلم " (٢) .

وكان النابلسي استقى من ابن عربي موقفه من التأويل في قوله "وماضل من المشبهة إلا بالتأويل ، وحمل ما وردت به الآيات والأخبار على ما لم يسبق منها إلى الإقحام ، من غير نظر فيما يجب لله تعالى من التنزيه ، فقادهم ذلك إلى الجهل المحض والكفر الصراح ، ولو أنهم طلبوا السلامة وتركوا الأخبار والآيات على ما جاءت ، من غير عدول منهم فيها إلى شيء ألبته ، ووكلوا علم ذلك إلي الله تعالى ورسوله وقالوا لا ندري ، لكان خير لهم " (٣) .

وقد أنكر النابلسي المسائل التي ترتبت على التأويل ، مثل: قول بعض الصوفية بالحلول أو الاتحاد فرفض ذلك وعول في استشهاده بقوله تعالى: "والله بكل شيء محيط" فلا حول ولا اتحاد كما يتوهم الجاهل بالله من الغافلين عنه تعالى ، المشغولين بأوهام الأعيان ، المنكرين على أهل الأيمان الكامل والتوحيد الحقيقي ، فإن الأشياء كلها عندهم هالكة فانية اعتقاداً أجازها عن كشف ويقين بكلام رب العالمين في قوله: "كل شيء هالك إلا وجهه" الآية (٤) وقوله تعالى: "كل من عليها فان" (٥) من غير

(١) النابلسي : أنوار السلوك ، مخ ، ميكرو فيلم ٢٦١٠-٣٣٩٨٨ دار الكتب لوحة ٧ .

(٢) النابلسي : جواهر النصوص مج ٢/٢٤١ .

(٣) ابن عربي : الفتوحات الكية ( تحقيق عثمان يحيى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥

هـ) والسفر الثاني ص ١٠٣

(٤) سورة القصص الآية ٨٨

(٥) سورة الرحمن الآية ٢٦

تأويل ولا تحريف لكلام رب العزة قال تعالى: " فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابهه من ابتغاء الفتنة " (١) أي تشبيهه بالحوادث " وابتغاء تأويله " أي حرفه عن ظاهره الذي يليق بالله تعالى الحق القديم ، إلى معنى يخترعونه بعقولهم . وكيف يمكن عقلا أو شرعاً أن يحل الوجود الحق القديم في الحادث الفاني القديم أو يتحد به (٢) .

رغم ذلك أتوقف مع النابلسي في المواضع التي فسر فيها القرآن الكريم باعتباره علماً من أعلام الصوفية وممن عدلوا على التفسير الباطن الذي هو الحق عندهم ألا يدخل هذا التفسير تأويل أم يدفعنا ذلك إلى ان علم الحق كما هو عند بعض الصوفية هو علم الباطن؟ وبالتالي يصبح علم الظاهر تأويل عند الصوفية كما أن علم الباطن هو تأويل عند السلف ورغم الموقف الواضح للنابلسي من التأويل فإن المتأمل لعلم أسباب النزول وما قام عليه تفسير القرآن الكريم منذ صحابة النبي ﷺ يجد أن الصوفية حينما جعلوا لهم خصوصية منهج في التفسير فيما يعرف بالعلم الباطن أو علم الحقيقة أو الشريعة ، فهذا لا ينفي عنهم التأويل ، وهذا يظهر من خلال المقارنات بين التفسيرات المختلفة للقرآن الكريم وفق مدارس التفسير المختلفة ، وهذا لا يعنى النابلسي رغم إنكاره للتأويل من التأويل .

فالنابلسي رغم رفضه التأويل ، إلا أن المتتبع لتفسيره لآيات القرآن الكريم يجد أنه وقع في التأويل لأنه يأول القرآن بغير ظاهره (٣) .  
وهذا التفسير ليس له ضابط يحكمه ، حيث إن الصوفية أطلقوا لمواجيدهم العنان ، من خلال الرياضة الروحية ، حتى يصل إلى درجة

(١) سورة آل عمران الآية ٦

(٢) النابلسي أورد الودود ص ١٩، ١٨

(٣) د. على محمد نصر فراج : العقد الثمين في انواع التفسير ومناهج المفسرين - مطبعة الأمانة

بمصر ، ط ١٤١٩ هـ ص ١٣٧ .

تتكشف له فيها هذه الإشارات القدسية ، وتتهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف (١).

ويرى د/ محمد كمال جعفر أن كلام الصوفية في القرآن الكريم قائم على تأويل (٢)

ولعل ما يترتب على موقف النابلسي من التأويل سيكشف عنه ثانياً البحث في مواضعه .

---

(١) د. محمد حسين الذهبي : الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم - نشر مكتبة وهبة ،

ج ٣ ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٧٧

(٢) د. محمد كمال جعفر / التصوف طريقاً ص

## المبحث الثاني

### الإيمان عند النابلسي

الإيمان لغة :-

يذكر الجوهري صاحب الصحاح أن الإيمان في اللغة التصديق ويقال آمن به إيماناً أي صدقه<sup>(١)</sup> ووضده التأكيد يقال آمن به من قوم ، وكذب به قوم<sup>(٢)</sup>

الإيمان شرعاً :-

هو الإقرار باللسان والاعتقاد بالقلب .. والعمل بالأعضاء بمقتضى ما صدق به إقراره واعتقده قلبه<sup>(٣)</sup>.

والشريعة الإسلامية أصلت للإيمان أركان وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وذلك في قوله تعالى " ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة وكتبه والنبیین " <sup>(٤)</sup>.

ومما ورد في السنة حديث جبريل عليه السلام ، فقد سأل النبي عن الإيمان ، فقال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره " <sup>(٥)</sup>.

(١) الجوهري : الصحاح - تحقيق احمد عبد الغفور عطا - طبعة دار العلم للملايين - بيروت ط ٣ - ١٤٠٤ هـ م ٢٠٧١/٥

(٢) راجع الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، مكتب مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط ١٣٧١ ، ٣ هـ ج ١٩٩/٤ وابن منظور لسان العرب ، ١٤٠٠

(٣) ابن الجوزي : نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، تحقيق محمد كاظم ، بيروت ١٤٠٤ هـ ص ١٤٥

(٤) سورة البقرة آية ١٧٧

(٥) البخاري : ج ١/١٩ ، مسلم ٣٧/١ - ٢٦٠

وتؤكد الشريعة الإسلامية على اقتران الإيمان بالعمل ، وذلك في قوله تعالى: " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية" (١) . وقوله تعالى : " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا " (٢)

وأكدت الشريعة أيضاً العلاقة بين الطاعة الصحيحة والإيمان والتقصير الذي قد يصيب العبد أحيانا "فإذا أحسن المؤمن عبادته واجتهد في طاعته ربه والتعرف عليه ، وتحصيل الأعمال الصالحة أثمر ذلك زيادة في الإيمان" (٣)

وقد ورد في كتاب الله العزيز قوله : " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون " (٤) . وقوله تعالى : " هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم والله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً " (٥) .

وقد بينت السنة الصحيحة أن اقتراف المعصية يؤثر على كمال إيمان العبد وتمامه ، في قوله ﷺ " لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن " (٦) .

(١) سورة البينة آية ٧

(٢) سورة النساء الآية ١٢٤

(٣) د. محمد عبد الله الشرقاوي : الإيمان - مكتبة الزهراء - القاهرة - ط١ ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٥ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٢

(٥) سورة الفتح آية ٤

(٦) مسلم ٧٦/١ كتاب الإيمان حديث رقم ٥٧

ولم يقتصر الإسلام عند هذا الحد بل وضح العلاقة بين الإيمان والإسلام وذلك في قوله تعالى : " قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " (١).

وهذا يكشف أن الإيمان أخص من الإسلام . وقد شارك سلف الأمة بأرائهم حول مسائل الإيمان ، وذلك من منطلق التفسير الأمين للنصوص سواء كانت قرآناً أم سنة واشتهر عنهم ذلك في أقوالهم .

فالإمام مالك بن أنس رضى الله عنه يرى " أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وكذلك الأمام أحمد بن حنبل يرى الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، والصلاة والزكاة وألحج والبركة من الإيمان والمعاصي تنقص الإيمان (٢) وهذه الأقوال وافقها كل من الشافعي ، وابن جريح ، وابن المبارك ، وغيرهم .

وقد ذكر الإمام الغزالي صاحب الإحياء " أن الإيمان عقد وقول وعمل " (٣) .

وتفرعت القضية وتشعبت ، وثار حولها نزاع ونقاش طويل بين مختلف ألوان الفرق الإسلامية على مر العصور ، ولما كان موضوع البحث يهتم بدراسة المسألة عند الإمام النابلسي ، فسنحاول إبراز موقف النابلسي من مسألة الإيمان .

(١) الحجرات آية ١٤

(٢) ابن حنبل : رسالة الرد على الزنادقة والجهمية ، ضمن كتاب عقائد السلف ، تحقيق د. على

سامي النشا ، عصام الدين محمد على : منشأ المعارف إسكندرية بمصر ١٩٧١ ، ص ١١٣

(٣) الغزالي : إحياء علوم الدين ، تحقيق سيد إبراهيم ، طبع دار الحديث مج ١/١٢٠



يقسم الإمام النابلسي الإيمان إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

إيمان المقلدين : وهو بالقول فقط مع طمأنينة قلوبهم إليه من غير فهم، وقد اعتبره الشارع وسماه إيمانا ؛ حيث قال : " قولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا" <sup>(١)</sup> وقال لنبيه عليه السلام : " قل هو الله أحد" <sup>(٢)</sup>

القسم الثاني

إيمان المستدلين : وهو بالفهم مع القول فقط وقد دعا الله تعالى إليه حيث قال " قل انظروا ماذا في السماوات والأرض" <sup>(٣)</sup>.

وقال " أولم يروا إلى ما خلق الله من شئ" إلى غير ذلك وأصحاب هذين القسمين من الإيمان أبحاثهم عند علمائهم

القسم الثالث :

إيمان العارفين : وهو بالشهود فقط بعد القول والفهم كما قال الله تعالى " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط" <sup>(٤)</sup> فالحق الذي يجب الإيمان به واحد ولكن يختلف باختلاف الظهورات ، فظهوره في أصحاب الأقوال غير ظهوره في أصحاب الاستدلال <sup>(٥)</sup>.

ويكشف لنا هذا التقسيم أن الأمام النابلسي جعل من إيمان العارفين درجه عليا ومرتبة أرفع ؛ لأنه يرى فيه عزوف عن الدنيا وما فيها إلى الله بالكلية سبحانه وتعالى وفي ذلك بقول :-

(١) سورة البقرة آية ١٣٦

(٢) سورة الإخلاص آية ١

(٣) سورة يونس الآية ١٠١

(٤) سورة آل عمران آية ١٨

(٥) النابلسي: شرح جواهر النصوص في حل كلمات النصوص مطبعة الزمان بمصر ١٣٠٤هـ

" الإيمان في القلب تصديق ، وفي العقل إذعان وتسليم ، وفي النفس طمأنينة وانقياد وفي العين نظر إلى بدائع صنع الله تعالى وفي الأذن سماع كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ وكلام الصالحين من الأمة ، وفي اليد تناول ما فيه من طاعة الله تعالى ، وفي الرجل المشي في مرضاة الله تعالى إلى غير ذلك من الشعب الكثيرة المتشعبة من الأصل الذي في القلب فمن اعتبر هذا ادخل العمل في مسمى الإيمان ، لأن صور الإيمان اختلفت باختلاف الأعضاء والجوارح<sup>(١)</sup>.

الذابلسي في ٥. هذا النص يعرض لأمرين أولهما "صورة الإيمان المقترن بعمل الجوارح فيمن يعتقد أن الإيمان عندهم قول وعمل "

ثم يعرض صورة أخرى :- للإيمان تكشف عن موقفه وفكره من تلك القضية العقديّة في أن الإيمان إقرار وتصديق، فيقول: "ومن نظر إلى الأصل ولم يعتبر الصور الظاهرة .لهذا الشيء الواحد، وإنما اعتبر ذلك الشيء الواحد فقط كأبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى ومن تابعه ، لم يدخل العمل في مسمى الإيمان ، بناء على أن صور الشيء إذا زالت لا يلزم أن يزول الشيء بنفسه، لأن الصور عرض في الذات ، والذات ثابتة ، والصور تُخلع وتلبس<sup>(٢)</sup> ويضرب لنا مثلاً في قوله " أرأيت أن المكلف في غير أوقات العبادات إذا زالت عنه صور الإيمان الظاهرة، أو في حالة النوم، أو الغفلة ، لا يزول عنه مسمى الإيمان ببل ولو زالت عنه الصور الباطنة في حالة النوم والإغماء - مثلاً - فإن حكم الإيمان باق ما لم تتبدل صورة التصديق بالتكذيب ، وصورة الإذعان والتسليم بالعناد والمكابرة ،

(١) الذابلسي: الفتح الرباني والفيض الرحمانى ص ٢٦٤

(٢) النابلسي: الفتح الرباني، ص ٢٦٥

وصورة الطمأنينة بالزيغ والحيرة والشك، فحينئذ يزول عنه الإيمان ويوجد فيه الكفر. (١)

ويؤكد النابلسي أن حقيقة الإيمان هي التصديق ، وضده الجحود والكذب ، وأن العبد إذا ترك أمثال الأوامر والنواهي جميعها ليس بكافر، بل هو عاصي<sup>(٢)</sup> ويقول : لو كان العمل شرطاً في ثبوت حقيقة الإيمان، لكانت المعصية تنافيها فلا يرى خيره ، وليس الأمر كذلك<sup>(٣)</sup> فالاعتقاد الصحيح لا يكون إلا بالقلب وإما ما يقال باللسان فهو حكاية الاعتقاد لا هو بنفسه<sup>(٤)</sup> وإيمانك أي بتصديقك بالله تعالى وإزعانك له والانقياد إليه على أتم الوجوه<sup>(٥)</sup>.

وهذا النص يكشف عن حقيقة موقف النابلسي الذي يتبناه فيقر بالصورة الثانية من الإيمان باعتبارها يرى أن التصديق والتسليم أولى ، ويستدل بموقف الأحناف في هذا الأمر ثم يعول باستدلاله على حركات العبد في حالة النوم والإغماء ، والثابت أن التكليف مرفوع عند العبد في ذلك ، ويتوقف على حالة التصديق قبل دخول العبد في النوم أو حدوث الإغماء أو الجنون ... وغيره وهذا لا يجد العمل ، فانه يعلم خائنه الأعين وما تخفي الصدور.

### النابلسي وزيادة الإيمان ونقصاته:

يرى النابلسي أن "زيادة الإيمان ونقصانه محمولة إما على الزيادة والنقصان في وصفه دون ذاته وجوهره، وإما على أن مراد القائل

(١) المصدر السابق ص ٢٦٥

(٢) النابلسي :الفتح الرباني ص ٢٤٨

(٣) النابلسي : الفتح الرباني ص ٢٤٩

(٤) النابلسي : الحقيقة الندية شرح الطريقة المحمدية ، مصر بدون تاريخ ص ١٦٦

(٥) النابلسي : خمرة الحان ورنه الاحان ص ١٥

بذلك الإيمان المفسر عنده بالاعتقاد والقبول والعمل ، فيزداد بزيادة العمل ، وينقص بنقصانه ، وإليه يشير كلام المأتن هنا حيث فرغ بإلقاء على كون الأعمال خارجة عنه قوله بعدم الزيادة والنقصان ، فالخلاف في ذلك لفظي على كل حال ، والآيات والأحاديث الواردة فيها ذكر ذلك يخرجها كل قوم بحسب ما ذهبوا إليه ، وهو محمّل ، وللاجتهد في ذلك مجال ، وليست المسألة مما يضر الخلاف فيها " (١) وإذا كان النابلسي يفتح باب الاجتهاد في المسألة إلا إنه يرى إما إيمان أو كفر ، ويستتبط ذلك من قوله تعالى : " فأولئك هم المؤمنون حقا " (٢) وذلك لأن الإيمان إما أن يكون موجوداً أو غير موجود فإن لم يكن موجوداً فهو كافر ، وإن كان موجوداً فهو مؤمن ، وإن شك ، في وجوده في وقت من الأوقات فهو كافر ، فيقين على المؤمن قوله أنا مؤمن حقا لتحقيق الإيمان منه (٣) .

أما الكفر فهو " ستر الحق بالوجود والتكذيب ، وما في معنى ذلك كالتهاون بالمحرم شرعاً أو الاستهزاء به " (٤) ويحسم النابلسي هذه القضية بأن الله وحده " له الحكم وإليه ترجعون " (٥) " وقوله تعالى : " إن الحكم إلا لله يقص الحق " (٦) فهو سبحانه وتعالى " هو الذي حكم بالكفر على الكفار ، وبالإيمان على المؤمنين ، وبالفسق على الفاسقين ، وبالنفاق على المنافقين ، وبالطاعة على المطيعين ، بالإخلاص والتقوى على المخلصين والمتقين " .

(١) النابلسي : الحقيقة الندية ص ج ١ / ١٩٣ .

(٢) آية ٣ سورة الأنفال

(٣) النابلسي : الحقيقة الندية ج ١ / ١٩٣ .

(٤) النابلسي : الحقيقة الندية ج ١ / ١٨٨ .

(٥) سورة القصص آية ٦٩

(٦) سورة الإنعام آية ٥٦

ومن هنا يرى النابلسي " بوجدانية الحكم ، لوروده كذلك في هذه الآيات ، وإن جاز إطلاق تعدده لكثرة أنواعه بكثرة متعلقاته (١) .

ويشتق النابلسي من أسمائه الحسنی دليلاً على مراده في أن " من أسمائه تعالى المؤمن ، بمعنى أن الهداية من الله تعالى والاهتداء من العبد ، فيقال : آمن الربُّ عبده ، : أي هداه للتصديق به ، فالإيمان يصبح عند النابلسي بمعنى التصديق (٢) .

### النابلسي وطبيعة الإيمان :

ولا يقف النابلسي عند هذا المعنى ، بل بحث في طبيعة الإيمان فإراه على معنيين :

" إيمان توقيف ، وإيمان توفيق "

-أما إيمان التوقيف فعلى قسمين :

توقيف الجنس : كإيمان المقلدين الجازمين المطابقين .

وتوقيف غير الجنس : كإيمان أهل النظر الذين أخذوا إيمانهم من الأدلة والبراهين العقلية . وهذان القسمان إيمانهم العامة ، غير أن القسم الأول مختلف فيه .

- وإما إيمان التوفيق :

فهو إيمان أهل الكشف والعيان المتلقين ذلك من حضرة الرحمن استنتاجاً من الأعمال الصالحة المرضية من البدع وهذا

(١) النابلسي : الحقيقة الندية ، ج ١ ص ١٦٨

(٢) النابلسي : الحقيقة الندية ج ١ / ١٩٤

الإيمان هو المراد بقول النبي ﷺ " لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن " (١).

### الإيمان والإيمان عند النابلسي :

وتم ينتهي النابلسي من تعريف الإيمان إلى تقسيم العباد وفق إيمانهم ويظهر موقفه من زيادته ونقصانه ، ولكن الغريب أن للنابلسي تقسيمات كثيرة ومتعددة - في مواضع شتى من مؤلفاته - للإيمان ، وبالتدبير في هذه النصوص نستطيع أن نحشف رؤية خاصة للنابلسي من خلال مجموعة الضوابط التي وضعها للإنسان من خلال إدراكه وموضعه ومقامه ، حتى لا يحيد عن طريقه ، لأن الإيمان عند النابلسي لا وسط فيه إما إيمان أو كفر .

### إيمان العبد في معرفة بالله :

فيرى أن المؤمنين بالله تعالى وبرسوله الكرام على ثلاثة (٢) أقسام ، مؤمنين إيمان تقليد مطابق وإذعان ، وقد اختلف العلماء في صحة إيمانهم والصحيح الصحة ولكنهم عاصون لترك الفرض ، وهو المعرفة .

### ومؤمنون إيمان دليل نظري وبرهان :

ولا خلاف في صحة إيمانهم ، ولكن الخلاف في أنهم عارفون بربهم أم لا . وهم عاصون لترك تحقيقهم في الوجود الحادث وعدم معرفة نفوسهم من اللوح الذي في عالم الملكوت .

ومؤمنون إيمان كشف صحيح : ولا خلاف في صحة إيمانهم وثبوت معرفتهم وعدم عصيانهم وهم أصحاب الإيمان الكامل أهل العلم والعمل ، ولا انقطاع لهم من الأرض إلى يوم الحساب (٣) .

(١) النابلسي : الفتح الرباني ، ص ٢٥٠

(٢) النابلسي : الأنوار الإلهية ، مخ ، ل ٥ أ

(٣) النابلسي : الأنوار الإلهية مخ / ل ٥ أ

## إيمان العبد الإيمان الكامل:-

فأقسام الإيمان عند النابلسي ثلاثة كامل ، ناقص ، وما هو في حكم ذلك .

### - فالإيمان الكامل :

هو نور يقع في قلب . ويظهر شفاعة في العقل والحواس .

### - ويعد إيمان الناقص :

هو التصديق المستند إلى البراهين العقلية والحجج القطعية ، فهو :  
تابع لها ، بحيث لو طعن فيها طاعن دخل الطعن في ذلك التصديق المستند إليها ، وهو إيمان أهل النظر من أكابر علماء الرسوم (١) .

وهذا الذي يدفع النابلسي إلى التعجب من موقف هؤلاء ومن تبعهم من أهل الفرق ، كالمعتزلة ، والمبتدعة ، ومن تبعهم ، كالقاضي أبو بكر الباقلاني وأبو اسحق الأسفراييني وأبو المعالي الجويني " في أن الإيمان الشرعي لا يصح إلا بعد الإحاطة بالبراهين العقلية والسمعية وحصول العلم بنتائجها ومطالبها ، ومن لم يحصل إيمانه كذلك فليس بمؤمن (٢) .

ثم يرى النابلسي أن الذي إيمانه لا هو كامل ولا ناقص فهو في حالة الغفلة والنوم والموت .

ويود النابلسي أن يوجه الإنسان إلى الابتعاد عن إيمان المقلدين ؛ لأن " المقلد في اعتقاده لما لا معرفة له بما قلده فيه ، كان بمنزلة الماشي في الظلمة ، يقع في المهالك ولا يشعر " (٣) .

(١) النابلسي :الفتح الرباني ص٢٦٥

(٢) النابلسي : الكوكب الساري ، مخ بل ١٧

(٣) النابلسي : رائحة الجنة ص١٥

## - الإسلام عند النابلسي :

يعرف النابلسي الإسلام بأنه هو " الاستسلام والانقياد للشيء ولهذا يهدى باللام ، فيقال : " إسلام له " ، قال تعالى في حق بلقيس "وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين" (١) أي استسلمت وأذعنت .

وفي الشرع هو الانقياد والتسليم والإذعان لما جاء به محمد ﷺ من عند ربه من البيان والهدى قال تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً " (٢) فمن نازعه عقله في التصديق والانقياد والتسليم لشيء مما جاء به محمد ﷺ أو وقع عنده الشك فيه ، وتردد ولم يسلمه له ﷺ باطناً وظاهراً ، فليس بمسلم . والمراد فيما علم مجيئه به ﷺ بطريقة التواتر ، لا ما ثبت عنه بطريق الأحاد أو الشهرة ، وهو الذي يقال فيه مما يعلم من الدين بالضرورة فتسلم معنى المتشابه الوارد في الكتاب والسنة إلى الله ورسوله من غير دخول فيه بفهم قاصر أو تأويل ، هو الإسلام . قال تعالى : " فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله ورسوله " (٣) .

والحق أن الدين جملة محكمة ومتشابهة يحتاج إلى تسليم في الإيمان به حتى العبادات الحية لأنها مبينة على أسرار وإشارات عينية ، وضع الشارع تلك الأفعال الحسية لها بإزاء تلك الأسرار والإشارات المغيبة عنا (٤) فكمال الإيمان التسليم للشارع في جميع ما قصده من شرعه ، قال تعالى : " إن الدين عند الله الإسلام " (٥) .

(١) سورة النمل : الآية ٤٤

(٢) سورة النساء : آية ٦٥

(٣) سورة النساء : آية ٥٩

(٤) النابلسي : الفتح الرباني والفيض الرحمانى

(٥) سورة آل عمران : آية ١٩



- ويواصل النابلسي تعريف الإسلام فيقول :

فاعلم يا أخي إن الدين هو ما يدين له الإنسان أي يدعى وينقاد  
ويطيع ويخضع من الاختبارات ( العقلية ) اليقينية والإنشاءات الشرعية ، قال  
تعالى : " إن الدين عند الله الإسلام " وقال تعالى " ومن يبتغ غير الإسلام  
دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "

والإسلام هو الاستسلام والانقياد ، فهو والدين بمعنى واحد<sup>(١)</sup> .  
ويختتم النابلسي قوله بأنه " ما سوى الإسلام في الأديان فإنه  
وسواس الشيطان<sup>(٢)</sup> .

### العلاقة بين الإيمان والإسلام:

فالإسلام : هم الخضوع والانقياد ، بمعنى قبول الأحكام الشرعية ،  
والإذعان لها ، وذلك حقيقة التصديق ، والتصديق هو الإيمان ، فالإسلام  
والإيمان بمعنى واحد<sup>(٣)</sup> فبهذا الاعتبار كان الإسلام غير الإيمان . وأما  
باعتبار عدم قبول أحدهما بدون الآخر عندنا وعند الله تعالى معا ، فهما  
بمعنى واحد ، وأما عندنا يقصد أهل التصوف فيقبل الإسلام بدون الإيمان  
كما قال تعالى : " قالت الأعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا  
ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " وأما عند الله تعالى فقط فيقبل الإيمان بدون  
الإسلام كمن صدق بقلبه وأذعن للحق ولم يظهر شيئاً من ذلك في الدنيا ،  
فهو مؤمن عند الله تعالى لا عندنا ، فلا تجرى عليه أحكام أهل الإسلام في  
الشرع<sup>(٤)</sup> .

(١) النابلسي : ثبوت اليقين ط١ مطبعة الأنوار بمصر بدون تاريخ ص١٨

(٢) النابلسي : كفاية الغلام ، ص ٤

(٣) النابلسي : رشحات الأكلام شرح كفاية الغلام ص٤

(٤) النابلسي رائحة الجنة ص١٣٦

قال النابلسي:

أيها الشخص الذي قال أنا . . . مسلم والكفر فيه اكنمنا  
ليس هذا الأمر بالقول ولا . . . بالتمني بدرك المرء المعنى  
إن تكن أمنت بالله كما . . . هو في التنزيل عما هنا  
حيث لا تشبه في العقل له . . . ثم لا تعطيل سراً علناً  
ثم صدقت النبي المصطفى . . . بالذي جاء به يرشدنا<sup>(١)</sup>

قال أيضاً :

آمنت بالوعد حقاً والوعيد على . . . طبق النصوص التي جاءت تبين  
وأنت لكم من يوفي بموعده . . . من غير خلق ولا مطل ولا ميم  
ترجي كلنا خلق الوعيد فما . . . خلق الوعيد بعيب منك أو شئ<sup>(٢)</sup>

العلاقة بين الإيمان والإسلام وهل الإيمان يزيد وينقص ؟؟

والحاصل أن كل معلق مأمور بتقوية الجزء الإيماني فيه ، وهو  
الإسلام والإذعان بجميع ما ورد عن الله ورسوله على حسب ما يعمله الله  
ورسوله ، وتقويته إنما تكون بالإمتثال والاجتباب للنهي والمبالغة في ذلك  
كما قال تعالى : " والذين جاهدوا فبنا لنهدينهم سلبنا " فقد وعد الله تعالى  
بالهداية للمجاهد فيه بامتثال أمره واجتباب نهيه ، وهي المجاهدة الشرعية  
للنفس والهوى والشيطان والدنيا فإن هذه الأربعة قواطع ، عن القرب إليه  
تعالى ، فمتى جاهدها المكلف بالطاعة لله تعالى والمخالفة لها ، هداه الله  
تعالى ، فعرفه به ، وأدناه منه زلفي كشف له من معاني الكتاب والسنة  
بطريقة الفيض والإلهام ما تعجز عنه العقول والأفهام ، وليس المكلف

(١) النابلسي : ديوان الحقائق ٢/١٤٤، ١٤٣

(٢) النابلسي : المرجع السابق ٢/ ١٤٥

مأموراً بتقوية الجزء العقلي منه ، لأن تقوية ذلك يضره في دينه ، لأن الدين المحمدي ليس مما يدرك بالعقول ، خصوصاً في مذهب الشيخ الأشعري رضي الله عنه بان التحسين والتقيح شرعيان لا عقليان والعقل لا يدرك حسن شيء أصلاً ولا نتجه كما هو مقرر في الأصول وهذا القسم من المنطق ولو قلنا أنه من الفلسفيات فإنه يقوى العقل على جانب الإيمان والتسليم للشرع فيضعف الجزء الإيماني التسليمي بسبب قوة الجزء العقلي ، إن لم يذهب الجزء الإيماني بالكلية ، أو ينقلب عقلياً كما هو مشاهد في كثير من الناس ، تراه لا يقبل حكماً من أحكام الشرع ما لم يكن أمراً معقولاً وللعقل مدخلاً في إدراكه ؛ ولهذا تكلم أهل التأويل في المتشابهات ، وخاضوا فيها بالمعاني العقلية ، ولم يقدروا أن يؤمنوا بها على ما هي عليه ، ولا استطاعوا أن يُطمئنوا قلوبهم بما يعلمه الله تعالى فيها ويعلمه رسوله ﷺ لقوة الجزء العقلي منهم بحيث غلب على نور إيمانهم فاضعفه بالكلية ، فتراهم تعبوا في الموافقة بين العقل والشرع ، والجزء الإيماني ضعيف فيهم جداً " ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور " قال الحق والصواب تحريم علم المنطق كله بقسميه المذكورين على فرض انقسامه إليهما ؛ لإيصاله إلى ما ذكرنا من اعتياد المكلف استعمال ضوابطه وقواعده وعليه ذلك عليه في كل ما يريد إدراكه من الدين ، مع أن الدين ليس مبنياً على المفاهيم العقلية ، وإن احترز متعلمة من استعماله في إدراك الدين له ، فلا نتيجة له حينئذ . وإن زعم أن له نتيجة أخرى في غير الإدراك فهو ممتنع منه ، فنخلص من هذا أن المنطق ضرر محض على أهل الإسلام ، إنما بعث متعلمين على تعلمه حُب الانفراد بعلم لا يعلمه أهل الإسلام وطلب الرياسة به على الأقران<sup>(١)</sup>.

(١) النابلسي : الحديقة الندية ١ ص ٢٣١

وهناك شرط رابع اختلف فيه، وهو : وصول الدعوة فلو نشأ في شامق جبل مثلاً وكان عاقلاً بالغاً ، ولم تصل إليه دعوة محمد ﷺ ، فهل يُعْتَر في ترك الإسلام أم لا ؟ فمن قائل أن يعذر لقوله تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً " (١) ومن قائل أن لا يعذر ، لأن العقل كاف في الاهتداء إلى معرفة الصانع بالنظر في الدلائل التي في الآفاق وفي النفس ، وهذا كله إذا لم يعتق شيئاً ومات بعد البلوغ والعقل ، وأما متى اعتقد كفراً فهو كافر إجماعاً لتغير قطرة الإسلام (٢) قال تعالى : " فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله " (٣) أما الإسلام بالقلب فقط فهو إسلام العامة ، وهو الانقياد والاستسلام بجميع أوامر الله تعالى ونواهيه الواصلة إلينا عنه تعالى على لسان نبيه ﷺ " بحيث لا يتسكك القلب في شيء من ذلك ، بل يعترف به على حسب ما أراه الله تعالى ، وأراه رسوله ﷺ ، سواء عمل بجوارحه أو لم يعمل ، وهذا عند أهل الحق ، ولغيرهم في هذه المسألة مذاهب كثيرة استوفت الكلام عليها علماء الكلام في كتبهم " (٤).

ولعل محاولة الكشف عن العلاقة بين الإيمان والعمل يوضح موقف النابلسي من الإيمان .

### العلاقة بين الإيمان والعمل عند النابلسي :

يكشف النابلسي عن العلاقة بين العمل والإيمان ولكن بمنظور مخالف لمن ربط بين الإيمان والفعل الإنساني أو العمل لأنه يرد

(١) سورة الإسراء الآية (١٥)

(٢) النابلسي : الفتح الرباني والفيض الرحمانى ص ٢٢٩

(٣) سورة الروم آية (٣٠)

(٤) المرجع السابق ص ٢٣٨

العمل إلى فضل الله على العبد لا بعمل العبد . ويستدل بقوله تعالى: " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً " (١) .

يرى أن ذلك فضلاً من الله تعالى عليهم ومنه ، كما قال تعالى: " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " لا استحقاقاً منهم بسبب عملهم ، أما في قوله تعالى: " ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون " أي بملابسة عملكم وهو بياض وجوهكم بحسب أعمالكم الصالحة كما يقال دخلت عليه بثياب السفر أي ملابساً لها ، وعلى فرض صحة العلية في الآية الأولى فترتب الحكم على مجموع الشيتين لا يقتضى دخول أحد الشيتين في الآخر إلا من حيث العلية فقط فتكون الصلة كليهما لا أحدهما ودخول العمل الصالح في الإيمان من جهة كونها علة لدخول الجنة لا يلزم منه دخوله فيه (٢) ورغم أن الصحابة - كما يرى النابلسي - قد قبلوا إيمان المقلد في قوله تعالى: " قولوا آمنا بالله " (٣) . فهو الإقرار باللسان ثم قال تعالى: " فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا " (٤) يعنى صدقوا بمثل ما صدقتم به وهذا هو التصديق بالقلب ، ولم يذكر العمل بالأركان (٥) ولم يقف النابلسي عند هذا الحد بل استند في رأيه إلى حديث النبي ﷺ " لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا " فتكون الآية الشريفة : " أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً فضلاً من الله تعالى عليهم ومنه منه " (٦) . ويؤكد أن حقيقة أمر الإيمان " من المغيبات

(١) سورة الكهف الآية ١٠٥

(٢) النابلسي : رسالة في أجوبة عن أسئلة ستة وردت من بعض البلاد النائية . مخ رقم ٣٢٨/٢

مجاميع ميكروفيلم رقم ٣٨١٢٠ بدار الكتب المصرية لوحة ١٧

(٣) سورة البقرة آية ١٣٥

(٤) سورة البقرة آية ١٣٦

(٥) النابلسي : راحة الجنة ص ٣١

(٦) النابلسي : رسالة في أجوبة عن أسئلة ستة مخ لوحة ١٧ أ

وتحدث كشفاً عن معانيها بنور الإيمان والإلهام<sup>(١)</sup> " ويرتبط ذلك بحقائق أحوال العباد في قوله " والله أعلم بحقائق الأحوال"<sup>(٢)</sup> .

### الإيمان ومرتكب الكبيرة عند النابلسي :

يفرق النابلسي بين الذنب الذي يفعله العبد والكفر الذي يقع فيه ، فيرى أن حقيقة الذنب في الشرع هي : المخالفة للرب سبحانه وتعالى بعد حصول التبليغ عنه في الزمان فإن الله تعالى يقول<sup>(٣)</sup> " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً " <sup>(٤)</sup>.

وأما ذنب الكفر بالله تعالى فلا يعذر فيه أحد ؛ لأن العقل كاف في معرفته ذلك ، فإن الله بعثه إلى كل إنسان هادياً ، بشرط تصحيح النظر به في آياته وحججه التي نصها دالٌ عليه في الآفاق وفي الأنفس ، قال تعالى : "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"<sup>(٥)</sup>.

ويجعل العبد في درجة من هذا الذنب أو مرتبة وفق الحال الذي هو عليه ، فيقول : "وأما الحال الذي للذنب فهو بحسب الشريعة : البعد والطرد ، وهو على أربعة أقسام : بعد وطرده يحصل بخلاف الأولى ، وبالصغيرة وبالكبيرة ، وبالكفر ، ويقترض ذلك المنمة في الدنيا وفي الآخرة ، وإطلاقه أسماء الذم - كالفاسق ، والعاصي ، والمذنب ، والمجرم ، الكافر ، والمشرك ونحو ذلك ... واستحقاق العقاب في الآخرة أو الدنيا أمر<sup>(٦)</sup> .

(١) النابلسي : الفتح الرباني والفيض الرحماني ص ١٢٩

(٢) النابلسي : الفتح الرباني والفيض الرحماني ص ١٣٠

(٣) سورة الإسراء آية ١٥

(٤) النابلسي : الفتح الرباني ص ٧٧

(٥) سورة فصلت آية ٥٣

(٦) النابلسي : الفتح الرباني ص ٩١، ٩٢

وهنا يوضح رأيه في الحكم على أهل القبلة ، فيقول: "ولا تكفر أحدا من أهل القبلة بالذنوب ، ما عدا الكفر ، ولا تقطع لهم بالنار ، ولكن نكلهم إلى مشيئة الله تعالى" (١) وأن الإيمان لا ينقضى مع صغيرة أو كبيرة " وأما الإيمان فيوجد مع الصغيرة والكبيرة" (٢) .

**وكشف النابلسي عن الخلاف في مسألة الإيمان وارتكاب المعصية**  
كانت أم صغيرة ، فيقول: " في هذا خلاف بين أهل السنة وغيرهم ويعرض، رأى الخوارج فيما قالت : ان مرتكب الكبيرة أو الصغيرة كافر، وكذلك موقف المعتزلة إن مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن وأثبتوا منزلة بين المنزليين وقال الحسن البصري: مرتكب الكبيرة منافق ، وقال أهل السنة مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة فاسق، وليس كافراً ولا منافقاً (٣) فان تاب فان التوبة بحسب الشرع فهي النجاة من غضب الله تعالى الذي كان العبد مستحقاً له بفعل الذنب (٤) ويستدل بقوله تعالى: " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون" (٥) .

يتبنى هذا التفسير الذي يعده مذهب أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريديه " أن مرتكب الكبيرة إذا مات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى ، ولا يقطع أحد له بعقاب ولا بعفو ، قال تعالى: " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (٦) .

وينكر النابلسي على المرجئة موقفهم من وعد الله ووعيده ، ويعد هذه الطائفة من كفار الأمة ، فيقول : " فهؤلاء ضرب من المرجئة وهم

(١) النابلسي / الفتح الرباني ص ١٧٩

(٢) المصدر السابق ص ٩٩

(٣) المصدر السابق ص ٩٨

(٤) المصدر السابق ص ١١٨

(٥) سورة الأنبياء آية ١٠٠

(٦) سورة النساء آية ٤٧ ، انظر النابلسي ، جواهر النصوص ج ٢/ ٨٥

كفار ، أنكروا وعد الله للمؤمنين ووعيد للكافرين ، وساووا بين من لم يساو الله تعالى بينهم ، حيث قال سبحانه:

" أفنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار" <sup>(١)</sup> إلى أمثال ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على القطع للمؤمنين بالجنة ، وللكافرين بالنار ، من غير شك ولا تردد ، وأجمعت جماعة المسلمين على ذلك من غير شبهة <sup>(٢)</sup> .

وأفرد النابلسي مصنفاً أسماه "مسائل في علم التوحيد والتصوف" عرض فيه لمسائل الإيمان والإسلام ، من خلال التساؤلات التي ترتبت على المشكلات التي تفرغت عن هذا الموضوع ، والمسائل الخلاقية. والغريب ان النابلسي في هذا المصنف سار على درب سابقه من سلف الأمة في طريقة العرض والمنهج ، فقد سبقه في ذلك أبو الحسن البغدادي ت ٣٦٦ هـ <sup>(٣)</sup> وأبو الوليد الباجي ، وابن حزم ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وغيرهم ممن صنفوا في هذا الموضوع . وفي هذا الموضوع سنحاول عرض موقف النابلسي من التوحيد .

أولاً : بين الإيمان والإسلام:-

فإن قيل الإيمان (والإسلام) واحد أم غير ، قلنا : كلاهما غيران من وجه اللغة ، وواحد من حيث المعنى ، كقوله تعالى : "إن الدين عند الله الإسلام" وقوله تعالى : "ومن يبتع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو

(١) سورة ص آية ٢٧

(٢) النابلسي: الحديقة الندية، ج١/٢١٠

(٣) أبى الحسن البغدادي : رسالة في تعريف الإيمان والإسلام تحقيق د. السيد محمد : طبعة دار



في الآخرة من الخاسرين" (١) . ولكنهما من حيث اللغة مختلفان لأن الإيمان عبارة عن التصديق والإسلام عبارة عن الانقياد إلى الأوامر والطاعات .

فإن قيل لك الإسلام والإيمان واحد أم غيران ؟

الجواب : محل الإيمان القلب، لقوله تعالى " ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " (٢) ومحل الإسلام الصدر ، لقوله تعالى : "أقمن شرع الله صدره للإسلام" (٣) .

فإن قيل : مخلوق أم غير مخلوق : قالوا مشايخ سمرقند : "مخلوق" وقال غيرهم : "غير مخلوق" ولكن فيه في الحقيقة فإن من قال مخلوق أراد فعل العباد ، ومن قال غير مخلوق أراد الهداية (٤) .

غير أن النابلسي في الحديقة الندية " يرى أن الإيمان قديم لأنه " من صفات الله تعالى المفهومة من اسمه سبحانه وتعالى "المؤمن" وصفاته تعالى وأسمائه كله قديمه (٥) .

فإن قيل لك الإيمان ظاهر أم باطن ؟ فإن قلت ظاهرة فقد أخطأت، وإن كنت باطن فقد أخطأت ، وإنما الجواب أن تقول عند البالغين ظاهر وعند الأطفال باطن لقوله تعالى: "وأسيغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة" فالإيمان أقوال وهداية ، فالهداية صنع الرب وهي بمنزلة الذكر ، والأقوال صنع العبد وهي بمنزلة الأنثى ، وأولادهما الطاعات والخيرات . فإن قيل لك الإيمان قديم أو جديد ، فقل : معرفته قديمة وإقرار العبد جديد " فإن قيل

(١) النابلسي :مسائل في علم التوحيد والتصوف مخ ل ١٧

(٢) سورة الحجرات آية ١٤

(٣) سورة الزمر آية ٢١ راجع مسائل في علم التوحيد والتصوف لوحة ١٨

(٤) راجع مسائل في علم التوحيد ، لوحة ٨

(٥) النابلسي : الحديقة الندية ، ج ١ ص ١٩٤

لك الإيمان مخلوق أم غير مخلوق ، فقل : الإيمان نور يقذفه الله في قلوب عباده المؤمنين " (١) .

فإن قيل لك الإيمان ينقسم على كم عدد من الأقسام ؟ فقل ينقسم على خمسة أقسام :

١- إيمان معصوم ، وهو إيمان الأنبياء عليهم السلام ، يزيد ولا

ينقص ، يزيد بالطاعة ولا ينقص ليس عليهم معصية .

٢- وإيمان مطبوع ، وهو إيمان الملائكة ، لا يزيد ولا ينقص .

٣- وإيمان مقبول ، وهو إيمان المؤمنين ، يزيد وينقص ، يزيد

بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

٤- وإيمان موقوف ، وهو إيمان المنافقين من أمة محمد ﷺ .

٥- وإيمان مردود ، وهو إيمان اليهود والنصارى وما أشبههم (٢) .

فإن قيل لك : ما قواعد الإيمان ؟ فقل ثمانية أشياء يجب على كل

مكلف أن يعملها بقلبه وينطق بها بلسانه ، وهى أن تشهد أن لا إله إلا الله وكونه تعالى حي عليم سميع بصير ، مرید قادر ، متكلم .

فإن قيل لك ما قواعد الإيمان ؟ فقل له أربعة وهى الإرادة والأمر

والعظمة والوحدانية "فإن قيل لك ما معنى الإسلام فقل الإسلام هو الاستلام

والاستلام فهو الانقياد والانقياد فهو الاتباع والاتباع هو الامتثال والامتثال

فهو العمل أمر الله تعالى واجتتاب ونواهيه لقوله تعالى " وما أتاكم الرسول

(١) النابلسى : مسائل فى علم التوحيد والتصوف مخ ، لوحة ٦ : ٨

(٢) النابلسى : مسائل فى علم التوحيد لوحة ٨

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب<sup>(١)</sup>. والمسلم  
● معناه من سلم الناس من يده ومن لسانه ومن عينه<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل : لك ما فروع الإسلام ؟ فقل : خمسة : البلوغ ، والعقل ،  
والاختيارية ، وأن تأتي بالشهادتين مرتباً على التوالي خلافاً للمراهق .

فإن قيل لك ما شروط الإسلام ؟ فقل : أربعين منها سبعة : التمسك  
بكتاب الله تعالى ، والاقترداء به ، وكف الأذى ، وأكل الحلال ، واجتناب  
المحارم ، ورد المظالم إلى أهلها ، والتوبة من التقصير في السنة ، يتبعها  
خمس : معرفة الرحمن ، ونقص مكائد الشيطان ، والقول بالحق ،  
والإخلاص في العمل ، و موافقة السنة... " (٣) .

فإن قيل لك ما أحكام الإسلام ؟ فقل : سبعة : القول بالحق ، والعمل  
بالحق ، والطاعة لله ، والوفاء بالعهد ، والقضاء بالعدل ، واتباع السنة.

فإن قيل لك ما أصول الإسلام ؟ نقول : الحق سبحانه وتعالى منزه  
عن الأصول ، وأصل يأتي بالأصول وهو جبريل عليه السلام ، كان يأتي  
إلى النبي ﷺ ، وأصل تأتيه الأصول وهو محمد عليه السلام ، وأصل  
تفرعت منه الأصول وهو القرآن الكريم ، وأصل ترجع إليه الأصول وهو  
علم التوحيد .

فإن قيل لك خارج من الإسلام أم الإسلام خارج منك ؟ فقل : أنا في  
الإسلام والإسلام في (٤) .

واعلم أيها السالك أن الإقرار باللسان ليس جزءاً من الإيمان ،  
ولا شرطاً عند بعض العلماء ، بل هو شرط لإجراء أحكام المسلمين على

(١) سورة الحشر آية ٦

(٢) النابلسي : مسائل في علم التوحيد لوحة ٨٦

(٣) المصدر السابق لوحة (٩) أ

(٤) النابلسي : مسائل في علم التوحيد لوحة ١٠ - ٢٨١-

الصدق ، ولأن الإيمان عمل القلب وهو لا يحتاج إلى إقرار باللسان ، وقال بعض العلماء : إن الإقرار باللسان جزء من الإيمان لدلالة خواطر التصديق عليه (١) .

فإن قيل ما الحكمة في جعل عمل الجارحة جزء من الأعمال ؟ وأيضاً لم يغن به عمل اللسان دون أعمال الجوارح ؟ قلنا : أما إذا اتصف الإنسان بالإيمان ، وكان التصديق عملاً لباطنة جعله عملاً من ظاهر وأعلى فية تحقيق الكمال وإتصافه به ، وأما تعيين فعل الإنسان دون غيره من الجوارح ؛ لأنه مخلوق للبيان ، نعم تحكم بإسلام كافر بصلاته مع الجماعة وإن لم نشاهد إقراره ؛ لأن الصلاة المنسوبة إليه لا تخلو عن الإقرار" (٢)

فإن قيل لك : ما الفرق بين الإيمان والعمل ؟ فقل له : يعرف ذلك بعشرة أوجه .

الأول: الإيمان متبوع بالعمل والعمل تابع له .

الثاني: الإيمان يشترك بين المسلم والكافر والعمل في حق المسلم فرض .

الثالث : أحكام المسلم متعلقة بالإيمان لا بالعمل :

الرابع : يقبل الإيمان بغير العمل ولا يقبل العمل بغير الإيمان .

الخامس: تجب الجنة بالإيمان لا بالعمل يدخلون .

السادس : لا يعطى ثواب الإيمان للخصماء يوم القيامة ويعطى ثواب العمل

السابع : الإيمان لا يوزن والأعمال توزن .

الثامن : تارك الإيمان كافر وتارك الصلاة لا يكون كافراً .

التاسع : الأنبياء في الشرائع متفقون في الإيمان .

(١) المصدر السابق ، لوحة ١

(٢) الذابلسي : مسائل في التوحيد لوحة ١٢ أ - ٢٨٢-

العاشر : الإيمان الدائم والعمل ليس بدائم" (١) .

وبهذا يكون النابلسي قد قدم لنا حقيقة الإيمان ودرجاته عند أهل الحقيقة  
وأبرز بقوه موقفه الفكري من تلك القضايا .

## المبحث الثالث

### التوحيد

#### التوحيد عند النابلسي

يعرض النابلسي لعلم التوحيد في الشرع في قوله : -

"وأما في الشرع فالتوحيد أفراد المعبود بالعبادة ، مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وأفعالا فيما جاء به القرآن الكريم: قال تعالى : " قل إنما يوحى إلي أنما ألهم اله واحد " : "إنما الله لله واحد" "والهكم إله واحد لا إله إلا هو" ، والمراد هنا بالتوحيد علم ما يحب اله من كمال الذات والصفات والأفعال ، وما يجب للمرسلين عليهم الصلاة والسلام من أحكام النبوة واليوم الآخر ، وما يتعلق بذلك من باب إطلاق البعض على الكل .

فعلم التوحيد هو المنقول عن أهل السنة والجماعة لا توحيد غيرهم الذي يزعمونه من أهل الضلال والزيغ<sup>(١)</sup> .

فإن قلت ان النبي ﷺ جاء يدعو الناس إلى الإيمان بالله تعالى وإقامة الأحكام الشرعية ، وكان يقبل من الكافر مجرد الإقرار بالشهادتين والدخول في رفقة الأحكام الشرعية من غير أن يكلف أحد بتعلم علم التوحيد أو علم الفقه ، بل لم يكن هذان العلمان مدونان في صدر الإسلام ، فكيف تكفون أحد بتعلم شيء من ذلك ؟ قلت : نعم ، لم يكن النبي ﷺ ولا أحد من السلف يكلف أحد بتعلم هذين العلمين صريحا ، ولكن كان ذلك معلوماً التكليف به من دين الإسلام بالضرورة ، إذ هو مقتضى الكتاب والسنة ونحن إنما فرضنا على كل مكلف معرفة ذلك ، وإلا فالحكم الذي كان في زمن النبي ﷺ باق إلى الآن ، حتى إن من أسلم من الكافرين الآن بتسبرئه من كل دين يخالف الإسلام قبلنا أنا ذلك منه ، ولا نسأله عن شيء من

(١) النابلسي : المطالب الوفية مخ ، ١١٤ .

هذين العلمين ، فيبقى هو في نفسه إن كان عالماً بما ذكرنا في علم التوحيد والفقہ كان ناجياً من الله تعالى يوم القيامة ، وإن لم يكن عالماً كان ناجياً عندنا ؛ لأننا نحكم بالظاهرة كما نبهنا ﷺ به ، ونكل أمر ذلك المسلم في الباطن إلى الله تعالى ، كما قال ﷺ : أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر" (١) .

ويرى ابن عربي أن الإنسان المسلم يجب أن يستقى العقيدة من أصول الإسلام الصحيحة ، فيقول : وإذا كان الأمر على ما قلناه فيأخذ المتأهب عقيدته من القرآن العزيز . وهو بمنزلة الدليل العقلي في الدلالة ، إذ هو الصدق الذي " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزِيل من حكيم حميد " فلا يحتاج أن نتأهب ، مع ثبوت هذا الأصل ، إلى أدلة العقول (٢) .

ومن الأدلة التي عول عليها النابلسي لإثبات وجوده تعالى :

#### - حدوث العالم دليل على وجود الله -

"وإذا أثبتنا بالدليل أن العالم محدث جائز الوجود لا واجب الوجود ، إذ لو كان واجب الوجود لكان مستحيل العدم وكان قديماً ، وقد ثبت حدوثه ، وإنه قبل الحدوث كان معدوماً ، دل أنه ليس بمستحيل العدم ولا بواجب الوجود ، بل كان جائز الوجود وجائز العدم ، وما يجوز عليه الحالان لا يختص بأحدهما إلا بمخصص ، كالجسم لما جاز أن يكون ساكناً لم يختص بأحد الحالتين إلا بمعنى يوجب اختصاصه بها وهو الحركة والسكون ، فكذا هذا بل كان العدم أولى به من الوجود ؛ لولا معنى بدلت به الحالة ؛ لأنه كان عدماً في القدم وبدلت الحالة بالوجود ، فلا بد من وجود

(١) النابلسي : المطالب الوفية مخ ، لوحة ١٥ .

(٢) ابن عربي : الفتوحات المكية ، السفر الأول ، ص ١٥٥ .

معنى مضى أوجب تبدله ، ولأن العدم نفي فلا يقتضى تعليلاً ولا مخصصاً بخلاف الوجود<sup>(١)</sup> .

وإذا ثبت بما مر من الدلائل أن العالم لا بد له من صانع ؛ لاستحالة اختصاص ما يجوز عليه بالعدم بالوجود وتبدل الحالة من العدم إلى الوجود بعد أن كان معدوماً بلا مخصص خصصه به ، على ما مر بيانه ؛ فبعد ذلك يقول إما إن كان صانع العالم واحداً أو كان أكثر من واحد ، ولا جائز أن يكون أكثر من واحد ؛ (ولا جائز) لأنه لو كان للعالم صانعان وهما علما دون الآخر فإن لم يكن واحد منهما قادر على إيجاده مع أنه مقدور فإذا : كل واحد منهما كان عاجزاً لزوال قدرته عما هو مقدور في نفسه ولن يكون ذلك إلا عن عجز كما ان زوال العلم كما يصح تعلقه به لن يكون ذلك إلا عن جهل ، والعاجز لا يكون إلها ، فإذا بطلت ألوهيتهما .

ولو كان أحدهما قادراً على إيجاده ، ولم يكن الآخر قادراً فهذا الثاني لا يكون إلها ، ولو كانا جميعاً قادرين ، أما إن قدر كل واحد منهما على إيجاده على الانفراد والاستبداد ، وأما إن قدرا على ذلك على طريق اتعاون فإن قدرا على طريق التعاون دون الانفراد كان كل واحد منهما على الإفراد ثم أوجده أحدهما ، أما إن زالت عن إيجاده قدرة الآخر وإما إن لم تنزل ، فإن لم تنزل قدرة الآخر فهذا محال ، لأن إيجاد الموجود محال والمحال لا يدخل تحت القدرة ، وإن زالت قدرة الآخر عن إيجاده بعدما كان ذلك مقدوراً بسبب إيجاد صاحبه فقد عجز صاحبه إذا زال قدرته عما هو مقدور له من بعد سلطان غيره بالتعجيز فهو مقدور له داخل تحت تصرفه، وهذا مما يستحيل على الله تعالى ، فبطل إذاً أن يكون للعالم صانعان<sup>(٢)</sup> .

(١) النابلسي: الدر الثمين ، مخ ، لوجه ١٧ .

(٢) النابلسي: الدر الثمين ، مخ ، لوجه ١٨ ، ١٩ .



ويكشف النابلسي بهذا الدليل عن استحالة صانعان ويعلل ذلك بأن  
أما الصانعان فكل واحد منهما قادر وله قدرة على حدة فكأن القول بنفاد  
أحدهما إزالة للأخرى ضرورة لكان تعجيزا وتقرر هذه الدلالة أيضا من  
وجه آخر فيقال إنا نغير جسما من الأجسام فنقول هل يقدر كل واحد منهما  
على أن يخلق فيه في وقت مما عما يستقبل من الأوقات حركة أو سكونا  
فإن قالوا لا فقد عجز وما إن قالوا نعم قلنا لو خلق أحدهما في ذلك الوقت  
بعينه فيه حركة هل يقدر الآخر على أن يخلق في عين ذلك الوقت سكونا  
فإن قالوا فقد ارتكبوا محالا حيث جوزوا اجتماع الحرة والسكون في وقت  
واحد في محل واحد وإن قالوا لا فقد جعلوه عاجزا كما كان عليه قادرا  
وقدرته زائله عما كانت عليه ثابتة وهذا هو التعجيز وهو محال على  
الصانع والقول بثبوت صانعين يؤدي إلى هذا وما أفضى إلى المحال فهو  
محال (١) .

ومنهم من قالوا لو صح إثبات آلهة لا نهاية لها في العدد إذ لا عدد  
أولى من عدد ولو جاز إثبات أنه لا يتناهون لجاز أن يفعل كل واحد فعلا  
فيوجد من الأفعال ما لانهاية له في العدد وهذا محال فيقال لهم إن الواحد  
من القدرة ما لانهاية لمقدوره ومع ذلك لا يجوز أن يوجد بقدره إلا ما  
يحصره العدد ، فكذا في القدماء ولأن ما ذكرت من الاستحالة ثابت في  
القدماء بلا نهاية، فأما في العدد المتناهي فلا يثبت تلك الاستحالة فينبغي أن  
يجوز ذلك وإبطال ما لا يثبت المحال بثبوت جهل فاحش (٢) .

ويرفض النابلسي أن يكون هناك قديماً سوى الله تعالى وصفاته ،  
فيقول : "وبالوقوف على هؤلاء الجهلة عرف بطلان قول حمل من يدعى  
شئ ما سوى الله تعالى وصفاته مادة كان ذلك أم خلاء أم زمان نفسا ناطقة

(١) النابلسي : الدر الثمين ، لوحه ١٩ أ .

(٢) النابلسي : الدر الثمين ، لوحه ٢١ .

كما يدعى جماعة من صابئة حران وابن زكريا الرازي الطيب ، وكذا قول من يدعى قدم الأفلاك وما فيها من الكواكب أو قدم الطبائع (١) .

ويستدل النابلسي بالأشاعرة فيما أوردود من دليل يثبت حدوث كل ما سوى الله بحدوث المتحيزات وحدث أعراضها . وإن كان يسلم بحدوث ما سوى الله غير أنه خالف الأشاعرة من أن دليلهم يتحقق إذا استطاعوا حصر المحدثات وفي ذلك يقول : "وهذا لا يصح حتى يقيموا الدليل على حصر كل ما سوى الله - تعالى - فيما ذكروه ونحن نسلم حدوث ما ذكروا حدوثه" .

ثم يتعرض النابلسي لدلالة الأشعري ، في الممكن الأول ويبطل هذه الدلالة لفساد الدليل ، الذي رأى فيه الأشعري : - إنه يجوز تقدمه على زمان وجوده ، وتأخره عنه - والزمان عنده ، في هذه المسألة ، مقدر لا موجود - فالاختصاص دليل على المخصص ، فهذه دلالة فاسدة لعدم الزمان : فبطل أن يكون دليلاً . ويصح النابلسي دليل الأشعري في أنه يرى " فلو قال الأشعري : نسبة الممكنات إلى الوجود أو نسبة الوجود إلى الممكنات نسبة واحدة ، من حيث ما هي نسبة ، لا من حيث ما هو ممكن . فاختصاص بعض الممكنات بالموجود ، دون غيره من الممكنات ، دليل على أن لها مخصصاً . فهذا هو عين حدوث كل ما سوى الله (٢) .

والعالم معدوم ، غير موجود ، وإن كان ثابتاً في العلم في عينه . ثم أوجد العالم ( أي الله سبحانه وتعالى ) من غير تفكر ولا تدبر (٣) .

في حكمه الذي هو مقتضى كونه عالماً بكشفه عن المعلومات الواجبة والجازرة والمستحيلة كما يستحيل عليه أن يعلم الشيء على خلاف

(١) النابلسي : الدر الثمين / لوحة ١٧ - أ

(٢) ابن عربي : الفتوحات المكية ، السفر الأول ١٩٨ وما بعدها .

(٣) ابن عربي : الفتوحات المكية ، السفر الأول ، ص ١٦٧ .

ما هو عليه ذلك ؛ حتى لا يكون علمه جهلا به، ويستحيل عليه تعالى أيضا أن يخبر عن الشيء على خلاف ما هو عليه ذلك الشيء ، حتى لا يكون خبره كذبا فإن الله تعالى وإن جاز في حقه أن يضل من يشاء ، ويهدى من يشاء ، لكن لا يجوز في حقه تصديق الكاذب ؛ لأنه تعالى بإضلاله من يشاء يظهر عدله في حقه ، ولا يلزم ذلك من نقص في حقه ، وأما تصديق الكاذب فيلزم من وقوع الكذب في حقه تعالى ، ويلزم من ذلك انقلاب علمه جهلا وهو محال عليه تعالى (١) .

ثم ننتقل إلى موقف النابلسي من كلام الله سبحانه وتعالى .

كلام الله : " تكلم سبحانه - لاعن صمت متقدم ولا عن سكوت متوهم ، بكلام موسى الأول - بكلام قديم أزلي ، كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته .كلم موسى- عليه السلام سماه التنزيل والزيور والتوراة والإنجيل من غير حروف ولا أصوات ولا نغم ولا لغات . بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات(٢) .

وجعل " أي : الله تعالى عز وجل (لبني آدم) قدرات وإرادات ومشينات وكلفهم بالأعمال المرضية له ونهاهم عن الأعمال التي لا يرضى بها ، وسمى هذا الخطاب الذي أنزل به الوحي على الأنبياء عليهم السلام شريعة،فبعث به المرسلين وأنزل عليهم الوحي بكلامه القديم الذي منه القرآن المبين(٣) .

ويكثر النابلسي الاستدلال بأقوال شيخه ابن عربي في قوله في كلام الله فكلامه - سبحانه - من غير لهأة ولا لسان ، كما أن سمعه من غير أجنحة ولا أذان كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان.كما أن إرادته في

(١) النابلسي : رائحة الجنة ص ١٠٢

(٢) ابن عربي : الفتوحات المكية /السفر الأول ص١٦٨

(٣) النابلسي :عذر الأئمة في نصح الأمة ، مخ ، لوجه أ

غير قلب ولا جنان ، كما أن علمه من غير اضطراب ولا نظر في برهان -  
كما أن حياته من غير بخار بتجويف قلب ، حدث عن امتزاج الأركان كما  
أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان (١).

**صفاته سبحانه وتعالى :** قائم بنفسه (أي الله تعالى عز وجل) ليس  
بجوهر متحيز فيقدر له المكان ولا بعرض ، فيستحيل عليه البقاء، ولا  
بجسم ، فتكون له الجهة واللقاء .

استوى على عرشه ، كما قال ، وعلى المعنى الذي أرادته كما أن  
العرش أو ما سواه به استوى ، وله الآخرة والأولى . خلق الله العرش  
وجعله حد الاستواء وانشأ الكرسي وأوسع الأرض والسموات. وأبدع  
العالم كله على غير مثال سبق وخلق الخلق " (٢) .

المعاني التي أثبتتها النابلسي عن شيخه قد صاغها بفهم آخر لا  
يفارق فهم شيخه وفي ذلك يقول : -

وتشهد أن الله تعالى جعل في بني آدم أنبياء وأرسل إليهم رسلا منهم  
، أولهم آدم عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ وكلهم صادقون في جميع ما  
بلغوه عن الله تعالى ، معصومون عن سائر الذنوب من غيرهم من الكبائر  
والصغائر ، ولم يخونوا في شيء مما أمنهم الله عليه من أسرار الوحي  
وأحكام الشرائع ، ولم يكتموا عن أممهم شيئاً أمروا بتبليغه لهم . وقد أنزل  
الله تعالى عليهم صحفاً وكتبها جميعها حق وهي كلها كلام الله تعالى القديم  
الذي ليس بحرف ولا صوت ، صفة واحدة لله تعالى لا تعدد فيها ، ولا  
ترتيب ، نزل بها جبريل عليه السلام على قلوب الأنبياء عليهم السلام بلسان  
قومهم ، قال تعالى "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" (٣)

(١) ابن عربي : الفتوحات المكية - السفر الأول ص ١٦٨ .

(٢) ابن عربي : الفتوحات المكية ، السفر الأول ص ١٦٥، ١٦٤ .

(٣) سورة إبراهيم آية ٢٤ ، وانظر النابلسي : الفتح الرباني والفيض الرحمانى ص ١٧٧ .

ولا نعتقد العصمة إلا في الأنبياء والملائكة عليهم السلام (١)

والإنسان أفعاله من أفعال الرحمن وأفعال الرحمن كلها صادرة عن أسمائه التي هي لا عين ذاته ولا غير ذاته (٢).

هل لله سبحانه وتعالى صفة نفسية : - ينكر النابلسي أن يكون لله صفة نفسية في قوله ليس للحق صفة نفسية ثبوتية إلا واحدة، لا يجوز أن يكون له اثنتان فصاعدا إذا لو كان ، لكانت ذاته مركبة منها أو منهن . والتركيب في حقه تعالى محال . فإثبات صفة زائدة ثبوتية على واحدة محال (٣)

إثبات الإرادة والمشينة لله تعالى : فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان بمشيئته وحكمته وإرادته ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفا بالإرادة أزلا والعالم معدوما وغير موجود، وان كان ثابتا في علم غيبه ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل أو عدم فيعطيه التفكر والتدبر علم ما جعل : "جل وعلا" عن ذلك . بل هو أوجده عن العلم السابق وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان وألوان ، فلا مريد في الوجوده على الحقيقة سواه ، إذ هو القائل سبحانه " وما تشاؤون إلا أن يشاء الله " (٤).

ويستدل النابلسي بابن عربي في رده على الأشاعرة في تناولهم لقضية الاستواء باعتبارهم مشبهة في أنهم بتأويلهم الاستواء بمعنى الاستيلاء قد صرفوا الاستواء عن ظاهرة وكذلك المجسمه الذين تجاوزا لفظ الاستواء إلى أحد احتمالاته وفي ذلك يقول "عجبت من طائفتين كبيرتين:

(١) النابلسي : الفتح الرباني والفيض الرحمانى ص ١٧٩.

(٢) النابلسي : المطالب الوفيه شرح الفوائد السنوية مخطوط/رقم ٥١٥ علم الكلام طلعت - ميكروفيلم رقم ٨٩٠٠ - دار الكتب المصرية

(٣) ابن عربي : الفتوحات المكية ، السفر الثالث ص ٦٦.

(٤) ابن عربي : عقيدة التوحيد/ص ١٨

الإشاعة والمجسمة في غلطهم في اللفظ المشترك " كيف جعلوه للتشبيه ، ولا يكون التشبيه إلا بلفظ " المثل " أو "كاف الصفة " بين الأمرين في اللسان وهذا عزيز الوجود في كل ما جعلوه تشبيها من آية أو خبر "

ثم إن الإشاعة تخيلت أنها لما تأولت قد خرجت من التشبيه ، وهى ما فارقته ، إلا أنها انتقلت من التشبيه بالأجسام إلى التشبيه بالمعاني المحدثه ، المفارقة للنصوص القديمة في الحقيقة والحد ، فما انتقلوا من التشبيه بالمحدثات أصلاً ، ولو قلنا بقولهم ، لم نعدل - مثلاً - من الاستواء " الذي هو الاستقرار " إلى الاستواء " الذي هو الاستيلاء " كما عدلوا ولاسيما والعرش المذكور في نسبة هذا الاستواء ويبطل معنى " الإستيلاء مع ذكر " السرير " ويستحيل صرفه إلى معنى آخر يناقض الاستقرار فكنت أقبل إن التشبيه مثلاً إما وقع بالاستواء والاستواء معنى لا بالمستوى عليه الذي هو الجسم والاستواء حقيقة معقولة معنوية، تتسبب إلى كل ذات بحسب ما تعطيه حقيقة تلك الذات ولا حاجة لنا إلى التكلف في صرف الاستواء عن ظاهره: فهذا غلط بين ، تخفاء به. وأما المجسمة، فلم يكن ينبغي لهم أن يتجاوزوا باللفظ. الوارد إلى أحد احتمالاته، مع إيمانهم ووقوفهم مع قوله تعالى : " ليس كمثله شيء " (١).

وقد أوضح النابلسي المتقاده فى قضية التوحيد من منطلق فهمه الواسع للنصوص ولم يتقيد بفكر أحد إنما كان أميداً فى نقل فكر الآخر وكان ناقدًا فى كل ما خالف اعتقاده .

(١) ابن عربى : الفتوحات المكية ، السفر الأول ص ١٩٩

## المبحث الرابع

### الجوهر و العرض عند النابلسي

ومن القضايا التي أسهب فيها النابلسي في مصنفاة قضية الجوهر  
والعرض

ويعرف النابلسي: العرض بأنه " عرض الشيء لونه<sup>(١)</sup> وينقسم  
العرض عنده إلى ثلاثة أقسام هي:

١- الكم وهو المقدار .

٢- والكيف كالون والطعم والرائحة .

٣- والنسبة وهي سبعة أقسام .

والمضاف وهي النسبة المتكررة كالأبوة والبنوة والفوقية والتحتية،  
والأين وهو الحصول في المكان ، والمتى وهو الحصول في الزمان  
كالعاقبة والحادثة ، والوضع وهو الهيئة الحاصلة للجسم من نسبة بعض  
أجزائه إلى بعض ، أو الأمور الخارجية كالسماة والأرض مثل القيام  
والقعود والجدة وهو نسبة الشيء إلى ملاصق ينقل بانتقاله كالتمعن  
والتقمص والتحنم والتأثير كالمقطع ، والنائر كالانقطاع .مجموع أقسام  
العرض تسعة وهو ممتنع بقائه ؛ لأن البقاء عرض .

وليس يحويه " تعالى أي جمعة ويحيط به " مكان" وهو ما يستحيل  
عليه والحيز هو الفراغ الذي يشغله الشيء ويملاه، وكلاهما يستحيل على الله  
تعالى لأنه افتقار إلى الغير " تعالى الله عنه" .

(١) مسائل في علم التوحيد/النابلسي :مخ لوحة ١١٤

وليس يحويه "تعالى أي يجمعه ويحيط به" مكان الله عن ذلك علوً كبيراً<sup>(١)</sup>.

أما الأعراض فهي عند النابلسي: "أعراض جمع عَرَض بالتحريك وهو الكائن الذي يبقى زمانين أو لا يبقى أصلاً ، بل زمان نسبة الوجود إليه مقترن بزمان سلب الوجود عنه ، ولا قيام له بنفسه ، بل وجوده في نفسه هو وجوده في غيره على طريقة علماء النظر<sup>(٢)</sup>."

وينكر النابلسي وجود العرض بغير "جوهر يقول : "ولا عرض وهو ما لا يقوم بذاته بل بغيره بأن يكون تابعاً لغيره في التميز فمعنى وجود العرض في غيره هو أن وجوده في غيره أي محله الذي يقومه..... وهو (أي عرض) ممتنع بقاؤه ، لأن البقاء عرض ، فلو بقى العرض لقام العرض بالعرض ، والعرض لا يقوم بنفسه بل لابد له من جوهر يقوم به ، فكيف يقوم به غيره؟! وإذا امتنع بقاؤه وجب حدوثه والله تعالى قديم فيستحيل عليه أن يكون حادثاً فليس هو عرضاً سبحانه وتعالى<sup>(٣)</sup> .

ويعرف النابلسي الجوهر بقوله : "والجوهر عند أهل السنة والجماعة هو الجوهر الفرد ، وهو الجزء الذي لا يقبل الانقسام أصلاً لبساطته ، وهو الذي يتركب منه الجسم فكل جسم مركب منه .. والجوهر عن حكماء الفلاسفة إما جوهر جرماني أي مادي أو جوهر روحاني ، والجرماني هو الجسم وأجزاؤه الهيولي والصورة ، والروحاني العقول والنفوس المجردة ، وقد أبطله أهل السنة بقسميه<sup>(٤)</sup> .

(١) النابلسي : رشحات الأقلام ، مخ ، ل ، ٨ ، أ ، ٨ ، ب .

(٢) النابلسي : القول المتين في بيان توحيد العارفين ص ٣٢

(٣) النابلسي : رشحات الأقلام مخ/لوحة ٧،٨ وأيضاً جواهر النصوص ١٦٥/٢

(٤) المصدر السابق لوحة ٧ أ .



و أما عندهم فلأن الجوهر من أقسام الممكن وهو الماهية الممكنة التي إذا وجدت كانت لا في موضوع ، وليس الله تعالى بممكن ، بل هو واجب<sup>(١)</sup> ، أيضاً لم يرد في الشرع إطلاق الجوهر على الله مع تبادل الفهم إلى إطلاقه عند النصارى بالمعنى الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه .. و لا مصور" أي ذو صورة لأن ذلك من خواص الأجسام يحصل لها بواسطة الكمية والكيفيات ، وإحاطة الحدود والنهايات ، والصورة المنفية عنه تعالى سواء كانت في الظاهر أو في الذهن<sup>(٢)</sup> .

"الطبيعيات" أي المسائل الفلسفية المتصلة بالطبيعة وما تولد عنها من العناصر وما تركيب من الأجسام<sup>(٣)</sup> . وقد ظهرت المولدات الأربعة : الجماد ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان ، عن العناصر الأربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والتراب ، عن الطبائع الأربعة : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة ، وذلك كله فيما بين السموات والأرض ، فهي أعمال الصورة الكبيرة الإلهية التي هي آيات الله في السموات والأرض<sup>(٤)</sup> .

فإذا كانت الماهيات غير مجهولة في أنفسها مع مقطع النظر عن وجودها فلا وجود لها في حد ذاتها . والوجود طارئ عليها وهو اشراق نور الرب عليها..<sup>(٥)</sup> فالصورة والأشكال في السموات وفي جميع المولدات من العناصر الأربعة الماء والهواء والنار والتراب ، إنما في الأعراض فهي قديمة عندهم بالتنوع والجنس لا بالشخص ، وذلك باطل لضرورة مشاهدة

(١) النابلسي : الحديقة الندية ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) النابلسي : الحديقة الندية ج ١/١٦٨ .

(٣) النابلسي : الحديقة الندية ج ١ ص ٢٢٨ وأيضاً جواهر النصوص ٢٣/١ .

(٤) النابلسي : الكوكب الساري مخطوطة لوحة ١٢ ، ١٣ .

(٥) النابلسي : القول المتين في بيان توحيد العارفين ص ٣٣ .

التغير فيها والتبدل ، وهو علامة الحدوث ، وإذا كانت أشخاص النوع والجنس حادثة ؛ مجموع ذلك حادث كله ، كما مرّ في بطلان التسلسل<sup>(١)</sup>.

وقد أنكر الفلاسفة وجود الجوهر الفرد وزعموا أن الأجسام مركبة من الهولي والصورة ، وهذه الأبحاث مبسطة في كتب علم الكلام وقد لخصنا منها فوائد في كتابنا "المطالب الوفية" .

إنها أي : "الأعراض" قائمة أي ثابتة متحيزة بنفسها" ، أي : ليس تحيزها تابعاً لتحيز الأجسام وذلك بديهى البطلان ، لأن مضمي وجود العرض هو وجوده في الموضوع ، وهو الجسم الذي هو محله المقدم له ؛ ولهذا يتمتع الانتقال عنه كما قلنا ، فلو قام بنفسه عنه وهو محال<sup>(٢)</sup> .

وفي شرح الصحائف قال أهل السنة انجسم هو "متحيز قابل للقسمة فعلى هذا الكون المركب من جوهرين فردين جسماً عندهم . ومعلوم أن كل مركب حادث والله يستحيل في حقه الحدوث فليس ، بجسم سبحانه .. وليس هو تعالى عرضاً ، ولا صفة من صفاته تعالى أيضاً عرضاً ، ولا إسم من أسمائه ، ولا فعل من أفعاله ، ولا حكم من أحكامه ، لأن العرض لا يقوم بذاته بل يفتقر إلى محل وهو الجسم .. فوجود العرض في نفسه هو وجوده في الجسم . فلو كان الله تعالى عرضاً ؛ لاحتاج إلى محل يقومه ممكناً لا واجباً وهو محال ، ولأن العرض يتمتع بقاؤه وإلا لكان البقاء معنى قائماً به فيلزم قيام المعنى وهو محال ، لأن قيام العرض بالشئ معناه أن تحيزه تابع لتحيزه ، والعرض لا تحيز له بذاته حتى يتحيز غيره فيتبعه ، وذلك محال على الله تعالى الذي يجب بقاؤه سبحانه<sup>(٣)</sup>.

(١) النابلسي : رائحة الجنة ص ٨٥

(٢) النابلسي رائحة الجنة ص ٧٩، ٨٠، ٨٤، ٨٥

(٣) النابلسي : الحديقة الندية ص ١٦٨

وأما الكلام في الوجود المقيد فهل ماهيته أعراض أو هو عرض فيها يصح القولان ، وعلى كل حال لا يخرج عن كونه عينها ، إذا لا زائد عليه وإن كثر وتعدد ، فالماهيات أعراض والوجود عرض ، وإن قام بالآخر لزم قيام العرض بالعرض وليس يمتنع القدرة الإلهية ولزوم التسلسل بذلك إمكانا لا يقتضي وجوده عيانا ، ولاشك أن العرض يتجدد في كل زمان ويتبدل في كل أوان ، والوجود الحادث العرض أثر من آثار الوجود القديم ، قائم بالوجود القديم ، ولكن ليس مثل قيام العرض بالجسم ، بحيث تحل فيه كالعلم بالعالم والبياض بالقرطاس ، وقد خلق الله تعالى ذلك مثلاً مضروباً لقيام الحوادث به قال تعالى "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العاملون" (١).

وكمال الكليات "من العوالم ولم يذكر الجزئيات لدخولها في ضمن الكليات ، وإذا لا وجود للكليات إلا في جزئياتها فإن الكليات أمور معقولة في العقل ولا توجد في الخارج إلا في جزئياتها ، فكمال الكليات المعقولة هو الرسول ﷺ" (٢) .

"الازليات" جمع أزله منسوبة إلى الأزل - بالتحريك - وهو بالنسبة إلى الله تعالى كالزمان بالنسبة إلى الأكوان ، فالزمان هو الماضي والمستقبل المبدوم ، صار موجوداً أو يخرج سريعاً فيصير ماضياً ، فالأكوان دائماً مكونات تمر من العدم المستقبل إلى العدم الماضي ، والوجود الثابت محقق لا يتغير ولا يتبدل .." (٣).

ثم إذا ثبت بما بيننا أن الصانع القديم واحد ، بطل قول المجوس - لعنهم الله - أن للعالم صانعين ، أحدهما خير خلق ما كان من أجزاء العالم

(١) النابلسي : خمرة الحان وزنه الالخان ص ١١ ، ص ١٢ .

(٢) النابلسي كوكب المباني ورقة ١٣٢ .

(٣) النابلسي : كوكب المباني ورقة ١٢٣

حسناً ، ويسمى عندهم "يزداد" والآخر شرير خلق كل شر وفساد في العالم منه وهو الذي خلق الأجسام المفادة والسموم القابلة ويسمى عندهم آهر" (١) .

ويناقش النابلسي هذه المسائل عند بعض من أصحابه فيقول : -

أعلم أن أهل السنة من أصحابنا لا يشتغلون بالبحث عن حقائق الأشياء ، وإنما هي المقصودة بالذات من أجزاء العالم عنها والاستدلال بذلك على حدوث الكل ، فأما معرفة كون ما قام بالذات من ذلك شيئاً وراء هذه الأعراض ، أو راجعاً إلى هذه الأعراض التي لا ينفك عنها الجسم فلا حاجة بنا إلى معرفته ، والله تعالى ولي التوفيق هذا هو الكلام في الجواهر في والأجسام" (٢) .

" فإن قيل أليس إن الجوهر عندكم في أوائل أحوال وجوده يكن خالياً عن الحركة والسكون جميعاً إذ هو عندكم في حال حدوثه ليس بمتحرك ولا ساكن فما أنكرت أنه في الأزل يكون خالياً عنهما قيل عُرف ببديهة العقل معرفة لا يعارضها شك وأن في حالة البقاء لا يخلو عن الحركة والسكون لأنه إما إن يكون في الزمان الثاني في المكان الذي كان فيه في الزمان الأول وإما أن يكون في غيره ، فإن كان في المكان الأول فهذا سكون وإن كان في المكان الثاني فهو حركة ، ولا يتصور خلوة عن ذلك ، فأما في أول أحوال وجوده فتلك واحدة لم يتصل بها حالة أخرى تتكون فيها في المكان الأول فيكون ساكناً أو في مكان آخر فيكون متحركاً وفي حالة البقاء الحكم بخلافه يوضحه أن الحركة هي كونان في مكانين والسكون كونان في مكان واحد ، وفي الحالة الأولى لن يتصور الأكوان واحد وهو ليس بحركة ولا سكون ، فأما في حالة البقاء ووجد كونان ، فلا بد من أن يكونا حركة أو

(١) النابلسي : الدر الثمين ورقة ٢٦ .

(٢) النابلسي الدر الثمين في إبطال أقوال الملحدين مخطوط رقم ١٥٥٧ علم الكلام - ميكروفيلم

رقم ٣٩٩٩٩ - دار الكتب المصرية ورقة ١ .

سكوناً ، وإن سلمه للجواهر حالة الحدوث ، فقد أقرتم بحدوث الجواهر ،  
فوقعت لنا الغنية عن إثباته بالدليل وإن لم تسلموا ذلك فلن يتصور عندكم  
خلو الجواهر عن الكون وهو عرض إن كان خلا عن الحركة والسكون لما  
إن كل واحد منها عرضان وهما كونان ، ويستحيل وجود كونية في حالة  
واحدة ، ووجود كون واحد في الاستحالة خلوه عن العرض<sup>(١)</sup> .

ثم إذا اثبت حدوث الأعراض وتقرر فتأملنا بعد ذلك في حال  
الأعيان فوجدناها غير متعريّة عن الأعراض التي ثبت حدوثها بما لا  
شبهة فيه من الدليل ، ثم تأملنا فوجدنا تعريها عن الأعراض وخلوها عنها  
ممتنعاً مستحيلًا ، ذلك لأننا رأينا الاجتماع والافتراق معنيين والمفترق  
والمجتمع وكذا الحركة والسكون ..<sup>(٢)</sup> .

فإن قيل إنما يستقيم أن لو ثبت عدم السكون وحدوث الحركة وهذا  
ممنوع ، قلنا لو لم ينعلم السكون وقد وجدت الحركة لكان الجسم ساكنًا  
متحركًا ، وهو محال ، وكذا اجتماع السكون والحركة محال في محل  
واحد ، وكذا الجسم كان قبل هذا ساكنًا ، وكون ما لو قامت به الحركة ساكنًا  
محال وبعدهما صار متحركًا لو كان السكون فيه لما صار متحركًا ؛ لأن  
كون ما قام به السكون متحركًا محال ، وإن كان ذلك علم أن السكون قد  
انعدم ، وأن الحركة قد حدثت . فإن قيل ما أكرتم إن السكون لم ينعلم بل  
انتقل إلى محل آخر وإن الحركة لم تحدث بل انتقلت إلى هذا الجسم محل  
آخر ، قلنا : هذا محال ؛ لأن الانتقال من محل إلى محل السكون يكون  
حركة ، وقيام الحركة بالحركة محال ، وكذا قيام الحركة بالسكون محال ،  
فلا يجوز انتقال الحركة ولا انتقال السكون من محل إلى محل<sup>(٣)</sup> .

(١) النابلسي : الدر الثمين ، مخ ، ل ٩ .

(٢) النابلسي : الدر الثمين ، مخ ، ل ٩ .

(٣) النابلسي : الدر الثمين ، مخ ، لوحة ٨ .

فإن قيل ما أنكرتم أن السكون كان ظاهراً في الجسم فكمن فيه ،  
والحركة كافية فظهرت ، فكان الجسم ساكناً غير متحرك لكون السكون  
ظاهراً أو كون الحركة كامنة ، ولمّا انقلب الأمر صار متحركاً ولم يبق  
ساكناً . قيل : إن كان الكمون والظهور بالانتقال من بعض أجزاء الجسم  
إلى بعض الأجزاء لزمكم جميع ما ألزمتكم في السؤال الأول ؛ وأن لم  
يكن بالانتقال فإن محل السكون والحركة واحد ، فيكون منه جمع بين  
الضدين ومنه كون ما قام به السكون متحركاً ، وكون ما قامت به الحركة  
ساكناً وهذا كله ممتنع . ثم نقول ما كان ظاهراً فكمن فقد انعدم فيه الظهور  
وحدث الكمون ، وكذا ما كان كامناً فظهر فقد انعدم فيه الكمون وحدث  
الظهور ، وفيه ما أردنا من إثبات الأعراض ، ولن ينفعكم ركوب هذه  
المحال ، وكذا لزمكم قيام الكمون والظهور بالحركة والسكون ، وقيام  
العرض بالعرض محال ؛ لأنه لو حاز قيام الثاني بالأول لجاز قيام الثالث  
بالثاني ، وكذا قيام الرابع بالتالي فيتسلسل إلى غير نهاية (١).

فإن قيل لو أوجد الله تعالى أول ما أوجد جوهراً واحداً لكان خالياً  
عن الحركة والسكون ، لانعدام المكان وكذا عن الاجتماع والافتراق لانعدام  
ما يكون يجنبه ولا يجنبه . قلنا : هذا الإلزام منا على من أنكر حدوث  
الأجسام وادعى قدم جميع أجرام العالم ، فقلنا : إن وجود الجوهرين لا  
يخلو من الاجتماع والافتراق وكذا وجود المكان والتمكن زمانين لا يخلو  
عن الحركة والسكون لنلزم الدهرى استحالة خلو أجرام العالم وأجسامه عن  
الأعراض .. (٢).

وبقضاء الجار مع المجرور في محل الرفع على أنه خبر متقدم "الله"  
سبحانه وتعالى وهو حكمه الأزلي "بما يعلمه من أحوال الممكنات.. وتقدير  
الله ويقال له القدر بالتحريك وبالسكون أيضاً وهو تحديد كل مخلوق بحده

(١) النابلسي: الدر الثمين ، لوحة ٨٠٩ .

(٢) النابلسي : الدر الثمين ، لوحة ١٠ .

الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضرر وما يحويه من زمان ومكان وما يترتب عليه من ثواب وعقاب" (١) . والقضاء ، على حكم الله تعالى الأزلى الذي لا يتغير ولا يتبدل بحيث لو تغير المقضي به وتبدل ، كان ذلك على طبق ما في القضاء ، فلا تغيره في القضاء على كل (حل) حال (٢) . وإما إذا رضى به من حيث هو مقتض به فهو رضا بقضاء الله تعالى وهو إيمان" والقضاء حكم الله تعالى في الأزل على جميع الأكوان ، بما يتداول عليها من الألوان فمن الأكوان ما هو الخير ، وهو أثر الرضا ، ولهذا يظهر الرضا من الحق تعالى عقبه أو من الأكوان ما هو شر ، وهو أثر السخط الإلهي والغضب ، ولهذا يظهر السخط أو الغضب من الحق تعالى عقبه " قال تعالى " وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه" وما قضى به حكم به وما حكم وقع ولا بد الله يحكم لا معقب لحكمه (٣) واستدل أيضاً بقوله : " الذي خلق الأشياء "أي قدرها بعلمه من الأزل " وقال تعالى " وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئاً " والخلق معناه التقدير ، كما قال تعالى . وخلق كل شئ فقدره تقديراً " (٤) .

(١) النابلسي : كشف السر الغامض في شرح ديوان بن الفارض ، تحقيق : محمد أبو الفضل

إبراهيم - القاهرة ، ١٣٩٢هـ ، ج ١ ، ص ٣٩٧ .

(٢) المصدر السابق ١/ ١٥٥ .

(٣) النابلسي : كوكب المباني ، مخ ، ل ٥٠ .

(٤) النابلسي : ورد المورد ، مخ ، ل ٤ .

## المبحث الخامس

### مفهوم الحرية الإنسانية والقضاء والقدر

النايلسى يقر بقضاء الله تعالى وأن تقدير جميع ما يجري ( في الكون ) من الأمور وكل ما يوجد من فعل البشر فإنه بخلقه خيره وشره كلف عبده وما قد جار ، وهو الذي يجعله مختاراً" ويلاحظ هنا أن النايلسى يجعل اختيار الخلق في إطار الخلق الإلهي الشامل ، ولا علاقة ذلك بالكسب كما عند الأشعري<sup>(١)</sup> .

وأما القدر " وهو ما يقدر الله تعالى من القضاء<sup>(٢)</sup> . فالحكم بالوقت قدر ، والحكم بغيره من الأصول قضاء وقد يستعمل القدر في الحكم بالكل والقضاء كذلك وقد يستعملان معا بمعنى الحكم بالكل ، ويقدم القضاء ويكون القدر تفسيراً له"<sup>(٣)</sup> . وأما التعينات" جمع تعين وهو الصورة المفروضة المقدر المخلوقة من قوله تعالى "وخلق كل شيء فقدره تقديراً" فسر تعالى الخلق بالتقدير وهو فرض وجود الشيء بمعنى ثبوته لا نفيه فالثبوت ضد النفي"<sup>(٤)</sup> .

أما الحرية الإنسانية عند النايلسى فقد أفرد لها مصنفاً " الفتح الرباني نسوق منه ونشهد أن الله تعالى خالق لجميع أفعال العباد من الخير والشر والنفع والضر ، ولكن لا ينسب الشر إليه تعالى و لا الضر وإنما ينسب إليه الخير والنفع"<sup>(٥)</sup> . " ونشهد أن الله تعالى خلق لعبادة المكلفين جزاء اختيارياً يختارون به الخير والشر ، وهو العقل، وجعله مناطاً للثواب

(١) النايلسى : راحة الجنة ص ١٣٥ .

(٢) النايلسى : جواهر النصوص ١٠٥/٢ .

(٣) النايلسى : شرح الصلوات المحمدية ، مخ رقم ١٥٤٩٣ ، ل ٧٤ .

(٤) المصدر السابق ، مخ ، ل ٧٤ .

(٥) النايلسى : الفتح الرباني ، ص ١٧٦ .



والعقاب، وهو جزء لا يتجزأ من الإنسان يقوى ويُضعف بحسب الأطلاع على موضوعات الله تعالى ، وهو بيد الله تعالى يصرفه حيث يشاء قال تعالى : "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله"<sup>(١)</sup>. والجبر لا يصح عند المحقق ، لكونه بيناً في صحة الفعل للعبد . فإن الجبر حمل الممكن على الفعل مع وجود إلا بآية من الممكن فالجهاد ليس بمجبور لأنه يتصور منه الفعل ولا عقل عادي . فالممكن ليس بمجبور، لأنه لا يتصور منه (من ذاته فعل ، ولا (عقل) له عقل محقق مع ظهور الآثار منه".

وأما القضاء والقدر عند النابلسي فهما في المعنى واحد واثنان في الصورة فيقول : "حكمة قدرية" منسوبة إلى القدر بالتحريك ، وهو جعل الله تعالى الى كل شئ بمقدار على حسب ما اقتضه حضرات ذاته المتجلى بها لذاته ، والقضاء هو الحكم بذلك فهما في المعنى واحد واثنان في الصورة ، فثبوت كل شئ بقدر في علم الحق تعالى يسمى قدراً من جهة تخصيص المقار والمعلوم بكل شئ يسمى قضاء من جهة الحاكم به وتنفيذه على طبق مقداره المعلوم"<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى : "قد جعل الله لكل شئ قدراً"<sup>(٣)</sup> أي مقدار يكون فيه لا يزيد منه ولا ينقص ، وقال تعالى "أنا كل شئ خلقناه بقدر"<sup>(٤)</sup> وقال : "وخلق كل شئ فقدره تقديراً"<sup>(٥)</sup>. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ظهور الشئ بقدره الذي له من الأزل لا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه زماناً ولا مكاناً ولا جسمانياً فإن الله تعالى ما قدر وقضى على أحد إلا ما علمه منه

(١) «سورة الإنسان ، آية : ٣٠ ، وراجع ابن عربي : الفتوحات ، السفر الأول ، ص ١٩١ .

(٢) النابلسي جواهر النصوص ٥٤/١ .

(٣) سورة الطلاق : آية ٣ .

(٤) سورة القمر : آية ٤٨ .

(٥) الفرقان : آية ٢ .

من خير أو شر وما علم منه إلا ما هو عليه في حال ثبوته قبل وجوده " (١)  
 . فإن الله تعالى علم كل شخص بخصوصه قضاء وقدرأً أزليين بأمور  
أرادها الله تعالى له من الأزل في كل لمح بصير ، فانه تعالى كل يوم هو  
في شأن بالنسبة إلى خصوص كل إنسان ولم يسبق قضاء الله تعالى وقدره  
على ذلك الشخص بخصوصه بتلك الأمور التي أرادها الله تعالى له الأعلى  
حسب ما استعد له ذلك الشخص في تلك اللحمة البصرية" (٢).

ليسأل أي لا يقال له لم خلقتني العبد وخلقت له قدرة وإرادة للعمل  
الفلاني له على قدرته عليه وإرادته له كما قال تعالى " لا يسأل عما يفعل  
وهم يسألون " أي إنما يسأل عما يفعل العبد المكلف الذي خلق الله تعالى  
العمل ليكون وصفاً له فإن الخالق (٣) سبحانه لا يوصف بما يخافه من  
الأوصاف ، فإن خالقاً لبياض في القرطاس مثلاً لا يوصف بأنه أبيض ،  
وإنما يوصف بذلك القرطاس ، فلو خلق في القرطاس قدرة عليه وإرادة له  
لكان ذلك كسباً منه فلم لم يخلق القدرة والإرادة في القرطاس كان ذلك خيراً  
منه وليس العبد المكلف كذلك بل له كسب ولا خير فيه ، والقدرة المخلوقة  
في العبد على العبد على طبق إرادته المخلوقة فيه كناية عن قوتين  
عرضيتين تظهر أن القلب وتشران في الأعضاء فيخلق الله تعالى عندهما  
لا هما ولا فيها ذلك المر الذي توجهتا عليه فينتسب إليه بحسب الظاهر أنه  
كسبها ، والكل خلق الله تعالى على كل حال ولا يتصور الجبر في ذلك لأن  
العبد ليس منه ممانعة أصلاً ولا في خلق الإرادة فيه والقبول ينافي الجبر  
على ما لا يخفي " (٤) .

(١) النابلسي : جواهر النصوص ٦٦/١ .

(٢) النابلسي : راحة الجنة ٦٣/١ .

(٣) المصدر السابق ٦٣/١ .

(٤) النابلسي : الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري ، مخ ، رقم ٤٨٣ ، كلام ، دار الكتب

المصرية ، لوحة ١١٤ أ .

اعلم أن أفعال العباد والصادرة منهم على سبيل الجبر والإضطرار مخلوقة لله تعالى بالإتفاق ولا دخل لعباده فيها بالنظر إلى حقوق الله تعالى فالتكليف بمقتضى غضب الله تعالى ورضوانه ساقط عنهم في ذلك ، وأما بحسب حقوق العباد فلهم مدخل فيها وإن كانت صادرة بطريقة الجبر والإضطرار كالمقتضى خطأ و أما الأفعال الصادرة من العباد بطريقة الاختيار منهم والإرادة وقصد القلب فهي التي وقع الكلام فيها بين العلماء ويختلفت فيها المذاهب وكثرة الأقوال والحق فيها واحد كما سنقره<sup>(١)</sup> إن شاء الله تعالى : اعلم أن المذاهب في الأفعال الاختيارية كما ذكرنا ثلاثة مذاهب : مذهبان هما في نقيض كل واحد منها يناقض الآخر وهما مذهب القدرية ومذهب الجبرية ومذهب بينهما معتدل وسط بين الإفراط والتفريط وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، قال الله تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً "(٢) . وقال الله تعالى " وأن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لينا خالصاً سائغاً للشاربين "(٣) فمن الحيرة في الأنعام لجميع الأنعام خروج اللبن الطاهر من الفرس والدم النجسين كما يخرج مذهب أهل السنة من بين مذهب القدرية ومذهب الجبرية الباطلين .

أما مذهب القدرية : وهم الذين يثبتون قضاء الله وقدرته في جميع الأمور التي تصدر من العباد بطريقة الاختيار منهم والإرادة ويقولون ان الأمر أنف أي مبتدأ لم يطرقة أحد ... ويقولون أن العبد يخلق أفعاله منه بالقصد والاختيار في الخير والشر والنفع والضرر وبسبب قوة أودعها الله تعالى في العبد يخلق بها ما يشاء فيستحق الثواب من الله تعالى والعقاب بمقتضى أفعاله في الطاعات والمخالفات والجأهم إلى هذا القول ما عرفوا من تكليف الله تعالى للعباد وأمره تعالى لهم بالطاعات ونهيه لهم عن

(١) النابلسي : الكوكب الساري : مخ ، ل ١١٥ أ .

(٢) الأنبياء : آية ٢٢ .

(٣) البقرة آية ١٤٢ .

المخالفات على حسب ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأجمعت عليه الأمة من الأحكام الشرعية المقتضية للطلاب منهم والكف فاضطروا بسبب ورود الخطاب منه تعالى للعباد في ذلك خطاب بالله تعالى لهم سفها وعبثاً لا فائدة منه ولا حكمه له وهو محال فقد أضلهم كتاب الله تعالى بمقتضى ما فهموه منه تصديقاً لقوله تعالى: "يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً" وهم مجوس هذه الأمة بحكم قوله ﷺ: "إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدهم وإن لقيمتوهم فلا تسلموا عليهم" (١).

وأما مذهب الجبرية: ألمعظاين للتكليف الشرعية المسفهين للخطايا الإلهية زنادقة هذه الملة الإسلامية فهم يرون أن العباد مجبورون في جميع أفعالهم الصادرة منهم إختياراً واضطراً وأن الله تعالى إذا أراد الخير خلقه للعبد وجبره في فعله وإذا أراد الشر للعبد خلقه له وجبره على فعله ولا دخل للعبد في صدور الأفعال منه وإن كان عندهم يصح نسبة الأفعال إلى العبد فإن ذلك على وجه الإتيان بها كالذكورية والأنوثة في العبد فإن الله تعالى خلقها فيه مجبرة في الإتيان بها ولا مدخل له في صدورها منه وكونه متصفاً بها فكذلك عندهم جميع أفعال العباد من خير وشر ونفع وضر تصدر من العباد وهم مجبورون فيها مضطرون في كونها صادرة منهم والجاهم إلى القول بذلك ما عرفوه من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من الله تعالى خالق كل شئ وأنه لا تأثير لكل ما سواه في أثر ما وزيادة وتشنيعهم وردهم على الفرقة الأولى القدرية القائلين بأن العباد يخلقون أفعال أنفسهم ففروا من ذلك وتباعدوا عنه فوقعوا فيما هو أشد منه وهو القول بالجبر المحض المقتضى لبطلان الخطاب الإلهي وتسفيه التكليف الشرعي (٢). وكون بعثه الرسل وإنزال الكتب عبثاً والإنذار والتبشير لعباً

(١) النابلسي: الكوكب الساري، لوحة ١٦ أ.

(٢) النابلسي: الكوكب الساري، مخ، ل ١٦.

إذ لا مدخل للعباد فيما يصدر منهم من الأفعال على مقتضى مذهب الجبرية فاحتفال الحق تعالى يكون باطل حينئذ بشأن المكلفين وتخصصهم بالخطاب والأمر والنهي دون كل ما عداهم وقبولهم بسبب ما خلفهم عليه من الاستعداد لحمل الأمانة بعد عرضها على السموات والأرض والجبال وإيائها عن قبول ذلك بحكم الآية "أنا عرضنا" ولقد عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال" (١) . و يقتضى مذهبهم ( يقصد الجبرية ) رد النصوص الصحيحة في نسبة الأفعال إلى العباد كقوله تعالى : "لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت" وقوله تعالى : "اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير" فأثبت تعالى للعباد مشيئته في أعمالهم فالقائلون بالخير المحض ينفون تلك المشيئة في أعمالهم ، فالنصوص كثيرة في الرد عليهم وعلى الفرقة الأولى القدرية أيضا" (٢) .

وأما أهل السنة والجماعة : أعنى أهل النظر فهم على الإتيان على أن أفعال العبد صادرة منهم وهم الفاعلون لها من غير جبر لهم في ذلك ، أن الله تعالى خالقهم وخالق أفعالهم كلها غير أن أهل السنة إلى المخالفين لهم من المبتدعة هم مختلفون أيضاً فيما بينهم باعتبار أنهم أهل نظر وجدال (٣) .

وقال النابلسي : في شرح ديوان الحقائق مثبتاً رأيه : —

وما أنت مجبور وربك خالق . . . لك الاختيار المحض من غير مريه

وحيث اختيار فيك خلقة ربنا . . . كباقي صفات مثل حول وقوة

فانك مختار ولاجبرها هنا . . . وكلفك المولى بأشواق كافة

(١) سورة الأحزاب : آية ٧٢ .

(٢) النابلسي : الكوكب الساري ، مخ ، ل ١٦ ب .

(٣) النابلسي : ديوان الحقائق ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

- فكن راضيا بالله ربا وبالنبي . . . نبيا وبالدين الحنفي ملتي (١) .  
 فليس في شر عنا ولا قدر . . . وانه فعل مختار بإمضاء  
 وقول من قال والأقدار جارية . . . ما حيلة العبد تغليظ  
 ما حيلة العبد في فصل يكون له . . . بالقصد من بلا حير والجماء  
 أحاط علما به ربي فقدره . . . قدما عليه بعد إحصاء (٢) .

ويكشف النابلسي عن علاقة القضاء والقدر بالتوكل على الله مستدلاً  
 بقوله تعالى : " وخلق كل شئ فقدره تقديرا " وإن لا تتير لما سواه تعالى  
 مطلقا في اثر ما يعنى أن التوكل منوط بذلك وتابع له ومأخوذ فيه وموقوف  
 حصوله عليه ومستند في وجوه أليه بحيث لا يمكن للمكلف أن يتوكل عليه  
 تعالى إلا بعد إيمانه وتصديقه أنه تعالى هو المنفرد وحده بإيجاد جميع  
 الكائنات وتحريكها وتسكينها من خير أو شر أو نفع أو ضرر ولا تأثير لسبب  
 من الأسباب مطلقا ، وإذا لم يكن عند المكلف استحضار جميع ذلك فإن  
 التوكل على الله تعالى بعيد عنه غير ممكن حصوله له ..

أما حرية الإنسان تظهر في فقر النابلسي في أفعاله " والمراد انه  
 تعالى لا يكلف بالأحكام إلا من تهيات عنده أسبابها وسلمت لأنه هو المكلف  
 بها وهذا معنى اقداره عليها وانتهاء الجبر عنه والعجز والقهر كما قال  
 تعالى : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" (٣) .

وقضائه جل وعلا لجميع ما ذكره وهو حكمه الأزلي بكل ما قدره  
 في الأزل فالتقدير يعين المحكوم به القضاء هو الحكم بذلك المعين فهما  
 رتبتان للوصف الواحد الإلهي القديم الذي يستحيل عليه التغير والتبدل فمن  
 جهه أنه حكم على الماهيات بأوصافها الخاصة بها من مقدار ومخصوص

(١) النابلسي : ديوان الحقائق ، ص ٢٨ .

(٢) النابلسي : ديوان الحقائق ، ص ٢٩ .

(٣) النابلسي : الطريقة الندية ، ص ١٧٨/١ .

وزمان ومكان ونحو ذلك مما هو ثابت لها في حضرة العلم القديم يسمى تقدير أو وقدر اختبارات جمع اختبار من اختار الشيء إذا انتقاه لأنهم ينتقون بنظر عقولهم ما يترجح عندهم فصله لغرض دنيوي أو أخروي ولا جبر لأحد في فعله الاختياري أصلاً وإن كان الاختيار (١) برضاء الله تعالى أي يرضى تعالى بفعله من العبد أو يرضى عن العبد فيخلق ذلك له والرضا ترك الاعتراض .

وأما الناظرون إلى الخلق في كل ما يجدونه - فإنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فينسبون الأفعال إلى غير من هي صادرة عنه على طريقة المجاز ، وهو العبد المخلوق، وهم الغافلون عن الله تعالى المشاهدون لمخلوقاته، وهذا الشأن ليس على طريقتهم (٢) .

وأما الناس الناظرون إلى الحق تعالى في كل ما خلق فينسبون المخلوقات، فينسبون الأفعال إلى من هي صادرة عنه حقيقة وهو المؤثر فيها ، ويسمونها بما سماها به تعالى ، من الظلم والكفر والفسق والعدل والإيمان والطاعة ، وهو الوجود الحق سبحانه وتعالى ، فيخاطبون بكل لسان وبكل طريقة أي لا سواه عندهم ، والكل صادر عنه لاعتباره غيره (٣) .

وبهذا يكون البحث قد حاول تقديم المسائل العقدية عند النابلسي من خلال مصنفاته وقد أبرزنا موقف الشيخ عبد الغني النابلسي من خلال تأثره بشيخه ابن عربي أو من خلال منهجه في الرد على المخالفين من أصحاب الفرق وأهل النظر من الفلاسفة بل إنه نعدى ذلك إلى أصحابه .

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٩/١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٥/١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣١٥/١ .

## نتائج البحث

(١) ظهرت براعة النابلسي في تصانيفه المختلفة من خلال منهجه الفريد في عرضه لمسائل العقيدة مستخدماً مناهج المتكلمين في الاستدلال .  
وإن كان قد قيد علم الكلام على الخواص لما رأى من خطورته على العوام وهذا يكشف متابعته للإمام الغزالي أو تأثره به وخاصة في رسالته إجماع العوام في علم الكلام .

(٢) أظهر البحث تأثر النابلسي بأستاذه ابن عربي في قضية التأويل رغم المقدمات التي فرق فيها بين المحكم والمتشابهة ثم سرعان ما عاد إلى نهج أستاذه في إنكار تأويل الآيات المتشابهة وإتهام المتأولة بأنهم مبتدعة وهذا لا يعفي النابلسي ولا حتى ابن عربي من الوقوع في التأويل لأن قضية التأويل عنده قيدها على بعض المسائل الاعتقادية التي يراها إلى أنها نور يقذفه الله في قلب العبد فتحمّل على ما هي عليه . مما جعلته ينكر أعمال العقل أو المنطق فيها .

ولم يقتصر التأويل عنده على القرآن الكريم وإنما تعدي ذلك إلى تأويل أحاديث النبي ﷺ باعتبار أن معانيها لا يعلمها إلا النبي وأهل الحقيقة.

(٣) رغم أن النابلسي من أقطاب الصوفية إلا أنه أنكر على بعض الصوفية القول بالحلول أو الإتحاد وعول على ذلك في أنه كيف يحل الوجود الحق القديم في الحادث الفاني ، وكيف يتحد به .

(٤) أطلق النابلسي العنان للصوفية دون غيرهم في قدرتهم على تفسير القرآن الكريم من خلال رياضاتهم الروحية التي هي طريقهم إلى تكشف الإشارات القدسية التي تنهال على قلوبهم من سحُب الغيب .  
وإن كان هذا يكشف عن تأويلاتهم .

(٥) إذا كان الإيمان قول وعمل إلا أن النابلسي يرى الإيمان تصديق فقط ولا وسط عنده بين الإيمان والكفر ويستدل بأوجه كثيرة كحكم أوقات ما



بين العبادات وأوقات صحت الإنسان النائم والمريض والمجنون وغيره  
أيلسب إيمانه رغم تعطل عمله .

— وإن كان النابلسي لم يوفق في هذا الأمر لأن النتائج التي توصل إليها  
نتائج عقلية رغم أنه أنكر أعمال العقل في بعض مسائل الاتقاد فالمشروع قد  
وضع نصوصاً لحكم النائم والمجنون والطفل وغيره ، وقد أغفل النابلسي  
الانتباه لهذا الأمر أو لم يعول عليه في الدليل .

(٦) ظهرت شخصية النابلسي المتفردة في عرضه لمسائل التوحيد رغم  
استدلاله بالأشعرية في عموم أدلتهم غير أنه خالفهم في مواضع كثيرة  
وأثبت فساد أدلتهم وأقام أدلته على إنقاص أدلتهم .

— وكذلك اعتمد دليل الأشعري في الممكن الأول غير أنه صحح هذا  
الدليل .

— أنكر النابلسي القول بصفة نفسية لله سبحانه وتعالى كما أثبت النابلسي  
الإرادة والمشيئة له سبحانه وتعالى غير أن هذا لا يخفى .

— تأثره بابن عربي في رده على الأشاعرة في تناولهم لقضية الاستواء  
باعتبارهم مشبهة بتأويلهم الاستواء بمعنى الاستيلاء لأنهم صرفوا الاستواء  
عن ظاهرة وكذلك المجسمة الذين تجاوزوا لفظ الاستواء إلى أحد احتمالاته .

(٧) ينكر النابلسي وجود العرض بغير جوهر وينكر إطلاق الجوهر على  
الله تعالى .

(٨) أثبت النابلسي أن للإنسان أفعالاً إجبارية وأخرى اختيارية .

أما الأفعال الإجبارية "كالولادة - العمر - الرزق - الذكورة - الأنوثة"  
وجميع أفعال الإنسان ما دون ذلك اختيارية .

(٩) وحد بين القضاء والقدر حيث إنه يراها واحداً في المعنى وإثان في الصورة .

(١٠) عرض النابلسي لمذاهب القدرية والجبرية وأهل السنة في قضية  
الجبر والاختيار ثم عول على مذهب أهل السنة في أن إيمان الإنسان  
مرتبط بالتوكل على الله .

## المصادر والمراجع

- ١- أحمد بن حنبل  
رسالة الرد على الزنادقة والجهمية  
ضمن كتاب عقائد السلف  
تحقيق در على سامى النشار ، عصام الدين محمد على : منشأة  
المعارف اسكندرية بمصر ١٩٧١
- ٢- البخارى : صحيح البخارى
- ٣- ابن الجوزى  
نزهة الأعين النواظر في علم الرجوه والنظائر  
تحقيق محمد كاظم بيروت سنة ١٤٠٤هـ
- ٤- الجوهرى - الصحاح - تحقيق أحمد عبدالغفور عطا  
طبعة دار العلم للملايين  
بيروت ط (٣) سنة ١٤٠٤هـ م ٥ / ٢٠٧١
- ٥- أبو الحسن البغدادى  
رسالة في تعريف الإيمان والإسلام  
تحقيق د. السيد محمد / طبعة دار العصر مصر
- ٦- عبدالرحمن الجبرتى  
تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار طبعة دار الجيل بيروت  
بدون ج / ١
- ٧- عبدالمنعم الحفنى : الموسوعة الصوفية  
طبعة دار الرشاد سنة ١٤١٢هـ
- ٨- ابن عربى : عقيدة في التوحيد

٩- ابن عربي : الفتوحات المكية

تحقيق عثمان يحيى

الهيئة المصرية العامة للكتب ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

١٠- علي محمد نصر فراج

العقد الثمين في أنواع التفسير ومناهج المفسرين مطبعة الأمانة بمصر /

ط ١ / سنة ١٤١٩ هـ

١١- عمر رضا كحالة :

معجم مصنف الكتب العربية

ط مؤسسة الرسالة بيروت ط / ١٤٠٦ هـ

١٢- الغزالي : احياء علوم الدين

تحقيق سيد ابراهيم

طبعة دار الحديث

مخطوط ١٢٠/١

١٣- الفيروز آبادي : القاموس المحيط / مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر

ط ٣ / ١٣٧١ هـ

ج ٤ / ١٩٩

١٤- د. محمد حسين الذهبي

الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم

نشر مكتبة وهبه / ط ٣ سنة ١٤٠٦ هـ

١٥- محمد عبد الله الشرقاوي

الإيمان

مكتبة الزهراء - القاهرة

ط ١ سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م

١٦- د. محمد كمال جعفر

التصوف طريقاً

١٧- ابن منظور

لسان العرب ١ / ١٤٠

١٨- النابلسي : أسئلة وأجوبة في فنون من العلوم الدينية المختلفة / مباحث

إسلامية / ٢٩ مخ / دار الكتب المصرية - مصر .

١٩- النابلسي : إطلاق القيود

مخطوط ل ٦٤ ب ، ٦٥ أ

٢٠- النابلسي : دار الكتب المصرية - مصر

انس الناظر في معنى حديث من قال أنا مؤمن وهو كافر مجاميع

٩ / ٦٨٥

ميكرو فيلم ١٧٤٨٢

٢١- النابلسي : أنوار السلوك

مخطوط / ميكرو فيلم ٣٣٩٨٨ / ٢٦١٠

دار الكتب المصرية بمصر

٢٢- النابلسي : الأنوار الالهية

مخطوط / لوحه ٧٦ / أ

٢٣- النابلسي : ايضاح المقصود عن معنى وحدة الوجود

مخ رقم ٦٨٧ / علم كلام / ميكرو فيلم رقم / ٣٩٢٤٩

دار الكتب المصرية - القاهرة

وأيضاً ( نسخة أخرى ) مخطوط الرقم ١٥٦٠٨

تصوف مكتبة جامعة القاهرة بمصر

٢٤- النابلسي : تحريك الاقليد في فتح باب التوحيد

مخ / ١٩٥١ علم كلام مصور على ميكرو فيلم برقم ٣٩٧٥٦

دار الكتب المصرية

٢٥- النابلسى :

تتبية من يلهو على صحة الذكر بالاسم هو مجاميع ٢٩٦ / ٢٤ دار  
الكتب المصرية - مصر

٢٦- النابلسى :

التوفيق الجلى بين الأشعري والحنبلى  
مجاميع ٢٤٧/٤ / ميكروفيلم ٤٨٦٥١  
دار الكتب المصرية - القاهرة

٢٧- النابلسى : ثبوت اليقين

ط ١ مطبعة الأنوار بمصر بدون تاريخ

٢٨- النابلسى :

جمع الأسرار في منع الأشرار من الطعن في الصوفية أهل التوحيد في  
الأفكار مخ/ مباحث اسلامية طلعت / ٤٠٨  
دار الكتب المصرية - مصر

٢٩- النابلسى : جواهر النصوص في كل كلمات الفصوص

مطبعة الزمان بمصر ١٤٠٣

٣٠- النابلسى : الجوهر المصون في علوم الكتاب المكنون

٣٦٧٧ / تصوف ، ميكروفيلم ٣٣١٧٤

مخ / دار الكتب المصرية - مصر

٣١- النابلسى : الحامل في الفلك والمحمول في الفلك في إطلاق النبوة

والرسالة والخلافة والملك

مخ / مباحث اسلامية طلعت / ٣٣٤

ميكروفيلم ١٠٠١٥

٣٢- النابلسى : الحقيقة الندية

شرح الطريقة المحمدية / مصر بدون تاريخ

٣٣- . النابلسى : الحقيقة والمجاز

٣٤- النابلسى : خمرة الحان ورنه الألحان

مخ

٣٥- النابلسى

— الدر الثمين في ابطال قول الملحدين برقم ١٥٥٧ علم الكلام /مخ/

ميكروفيلم

برقم ٣٩٩٩٩

دار الكتب المصرية — القاهرة

٣٦- النابلسى

رفع الاشتباه عن علمية اسم الله

مجاميع ٤٩٦ / ١

ميكروفيلم ٥٢١٢

دار الكتب المصرية / مصر

٣٧- النابلسى :

رفع الريب عن حفرة الغيب

١٣٠٦ / تصوف طلعت

ميكروفيلم ٧١٤٦

دار الكتب المصرية — مصر

٣٨- النابلسى :

دفع الابهام ورفع الابهام

تصوف حلیم / ٧٠

دار الكتب المصرية — القاهرة

٣٩- النابلسى : ديوان الحقائق ٢ / ١٤٣ — ١٤٤٢

٤٠- النابلسى : رائحة الجنة

طبعة المكتبة المركزية بجامعة القاهرة

طبعة ٥١٥٦١

٤١- النابلسي : رد الجاهل إلى الصواب في جواز اضافة التأثير إلى الأسباب

مخ / مجاميع برقم ٤٩٦ / ٥ - دار الكتب المصرية - القاهرة

وأيضاً رقم ٢١٦٠ / تصوف / ميكروفيلم رقم ٣٧١٧٤ دار الكتب  
المصرية بمصر

٤٢- النابلسي :

الرد المتين على منقضى العارف محي الدين

مخ/ تصوف / ٤١٦٧ / ميكروفيلم ٣٣١٤٣

دار الكتب المصرية - مصر

٤٣- النابلسي : رد المفترى عن الطعن في الششتري

مخ رقم ١٦٣ " البلدية " برقم ٣٧٩٢ / ٧ ج

معهد المخطوطات العربية - بمصر

٤٤- النابلسي : رسالة في التوحيد

مخ / مجاميع ٤/٢٩٦ / دار الكتب المصرية - القاهرة

٤٥- النابلسي : رسالة في اجوبة عن أسئلة ستة وردت من بعض البلاد النائية

مخطوط رقم / ٢/٣٢٨ مجاميع ميكروفيلم رقم ٣٨١٢٠ / بدار الكتب

المصرية لوحة ١٧

٤٦- النابلسي

رسالة في الرد على أسئلة النصارى

مخ / برقم ١٥٤١٩ المكتبة المركزية - جامعة القاهرة - بمصر

٤٧- النابلسي

رسالة في الكلام على قوله تعالى ( ولولا فضل اللّقاء عليك )

مخ / مجاميع / ٦٢٠ / ١ ميكروفيلم ٥٣٣٥

دار الكتب المصرية / مصر

٤٨- النابلسي :

رسالة للنابلسي مجاميع ٥/٣٢٨

مخ ميكرو فيلم ٣٨١٢٠

دار الكتب المصرية - مصر

٤٩- النابلسي : رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام

٥٠- رسائل النابلسي : رفع الريب عن حضرة الغيب

: اللؤلؤ المكنون

: تحقيق الفروق

: التنبيه من النوم

: الرد على من تكلم في ابن العربي

: خلاصة التحقيق

رقم ٢٢٩ الظاهرية ١٠٠ / تصوف

معهد المخطوطات العربية - بمصر

٥١- النابلسي

زبدة الفائدة في الجواب عن الايات الواردة مخطوط - رقم ٤/٤٩٦

مجاميع ميكرو فيلم ٥٠٢١٢ دار الكتب المصرية - مصر

٥٢- النابلسي : شرح جواهر النصوص في حل كلمات النصوص

مطبعة الزمان بمصر ١٣٠٤ هـ

٥٣- النابلسي :

شرح هدية ابن العماد في افضال العباد فقه حنفي / ٣١٢٢

دار الكتب المصرية / مصر

٥٤- النابلسي : عذر الأئمة في نصح الامة

مخطوط



مخ / ١٩٧٧٦ مكتبة جامعة القاهرة - بمصر

٥٥- النابلسي : الفتح الرباني والفيض الرحمانى

تحقيق محمد عبد القادر عطا

دار الكتب العلمية بيروت ط ١ / سنة ١٤٠٥

٥٦- النابلسي : الفتح المدنى في النفس اليمين

تصوف طلعت / ١٣٩٧ ميكروفيلم ٧٢٣٧

دار الكتب المصرية / المصرية

٥٧- النابلسي : فتح المعيد المبدى رقم ١٤٦٦ / علم الكلام

ميكروفيلم برقم ٣٩٤٤٦ / دار الكتب المصرية - بمصر

٥٨- النابلسي : القول المتين في بيان توحيد العارفين

٥٩- النابلسي : كشف السر الغامض

١ / ١٥٥

٦٠- النابلسي :

الكشف والبيان في اسرار الأديان

مخ ١٣٠٦ / تصوف طلعت ، ميكروفيلم ٧١٤٦

دار الكتب المصرية - مصر

٦١- مجموع رسائل للنابلسي : الكشف والبيان فيما يتعلق بالانسان

:انوار السلوك في أسرار الملوك

: رفع الغيب عن حضرة الغيب

: كشف النور عن أهل القبور

: القول الأبين في شرح رسالة أبى مدين

: رسالة تتعلق بالانسان هل هو هذا الهيكل المخصوص

أو غيره

( تحت رقم ٤٥٨ ، الظاهرية ٥٧ تصوف ) معهد المخطوطات العربية

— بمصر

٦٢— النابلسي : كفاية الغلام

٦٣— النابلسي :

كنز الحق المبين عن احاديث سيد المرسلين

حديث حلیم / ٢٣ ، حديث طلعت ٤٨٢

دار الكتب المصرية / مصر

٦٤— النابلسي : الكوكب الساري

مخطوط لوحة ٧ أ

٦٥— النابلسي

كوكب المباني وموكب المعاني مخ

تصوف / ١٦٠٣ ميكروفيلم رقم ٣٣٢٨٨

دار الكتب المصرية — بمصر

٦٦— النابلسي : مسائل في علم التوحيد والتصوف

مخطوط ل ٧ أ

٦٧— النابلسي : المطالب الوفية

ورقة ١٤

٦٨— النابلسي : مفتاح المعية في طريقة النقشبندية

تصوف / ٣٢٣٨ / ميكروفيلم برقم ٣٣٩١١

دار الكتب المصرية — مصر

٦٩— النابلسي :

الوجود ١٢٠٧

تصوف طلعت

ميكروفيلم ٧٠٤٦

دار الكتب المصرية / القاهرة

• ٧٠- النابلسي : الوجود الحق

مخطوط / لوحة ٢١٠ أ

٧١- النابلسي : ورد الورود

مخطوط برقم ١٥٤٩٣ جامعة القاهرة - بمصر

٧٢- يوسف بن اسماعيل البنهاني

جامع كرامات الأولياء - تحقيق إبراهيم عطوة عوض - المكتبة

الثقافية بيروت سنة ١٤٠٨ هـ - ج ٢ .